آراء
الشيخ الشعراوي
في حرب الخليج

طبعة أولى

١٤١١ _ ١٩٩١

الناشر



الوكيل فى مصر

الدار المصرية للنشر والاعلام

القاهرة _ ص ب _ ١٢٩ هيليوبوليس

ت ٢٦١٥٧٤٤ _ فاكس ٢٦١٥٧٤٤ (٢٠٢)

بسم الله الرحمن الرحيم

آراء الشيخ الشعراوي في حرب الخليج

بسم الله الرحمن الرحيم

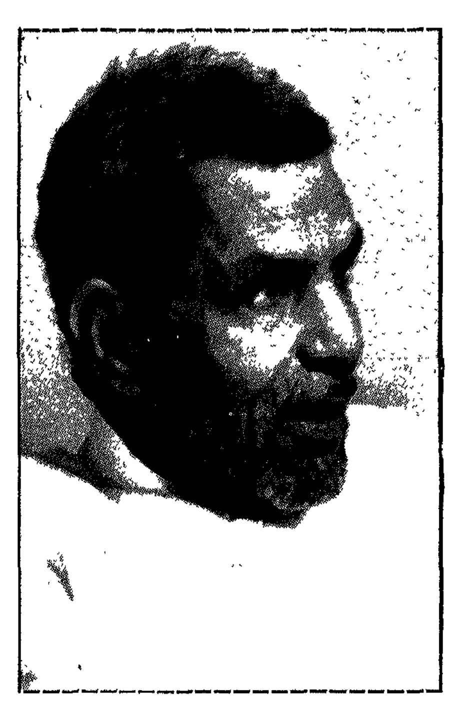
«فَبَدَّل الذّين ظَلَمُواْ قَولاً غَير الّذى قيلَ لهُم فأَنَزلنَا عَلَى الّذينَ ظَلَمُوا رِجزاً مِّنَ السَّماءِ بِمَا كَانُوا يفسَقُونَ»

صدق الله العظيم

(سورة البقرة ـ ٥٩)

آراء الشيخ الشعراوي في حرب الخليج

آراء الشيخ الشعراوي في حرب الخليج



آراء
الشيخ الشعراوي
في حرب الخليج

آراء الشيخ الشعراوي في حرب الخليج

بسم الله الرحمن الرحيم

* الشيخ الإمام داعية الإسلام محمد متولى الشعراوي هو غني عن كل تعريف ويصعب أن نقدمه بكلمات مكتوبة. فكثيراً ما تناولنا على مائدته الشهية، التى اجتذب اليها بسحر بيانه أرواحنا وقلوبنا، أحلى العبر بتقريبه للأفهام النائية، وتيسير وفك طلاسم وألغاز شوارد ومتطرفات النفوس. فجلا لنا نقاطاً هامة ومتعددة وسهل أمامنا طريق الدعوة دون عثرات الجهالة والتردي.

لقد منحه الله العلي القدير موهبة وحكمة الأيضاح والبيان للناس في بساطة وسلاسة فانطلق الى غايته الشريفة في أمان وثقة وتيقن.

الناشر

آراء الشيخ الشعراوي في حرب الخليج

تقـــديم

ارتبطت حاجة الإنسان – منذ فجر البشرية – بالضروريات الحتمية التي تحفظ عليه حياته ارتباطاً وثيقاً.. وهذا الارتباط الوثيق قد يبدو نسبيّاً أو متفاوتاً إلا أنه في النهاية هو الارتباط اللزومي الذى لا ينفك أبداً.

فإذا كانت حاجة الإنسان إلي الهواء تمثل أولوية عن حاجته إلي الماء، وحاجته إلي الماء قبل حاجته إلي الطعام، وحاجته إلي الطعام تشكل أهمية أكثر من حاجته إلي التزاوج وبقاء النوع إلا أنها جميعا – ومع هذا التفاوت – ضروريات حتمية لا تنهض الحياة الإنسانية ولا يتحقق لها الاستمرار والدوام إلا بها جميعاً.

بهذه الضروريات الحتمية تبقي الحياة الإنسانية ما بقيت، ويتوفر لها الاستمرار ما إستمرت، لكنها لن تكون قادرة علي أداء وظيفتها التي أرادها لها الحق – سبحانه وتعالي – : في أن تكون جديرة بخلافته في الأرض بهذه الضروريات الحتمية وحدها، بل لابدّ من عون إلهي يعينها علي أداء هذه الوظيفة الأداء الأمثل الذى ينسجم ويتوافق مع الروح الالهي انسجاماً تاماً وتوافقا محمودا.

هذا العون الالهي ضرورى للإنسان أيضا ضرورة الحاجة الحتمية.. ولقد هبط هذا العون علي الإنسانية في صورة أديان سماوية تواتر هبوطها وتزامن مع حاجة الإنسانية في كل مكان وزمان – خلافا للدين الإسلامي – الذي أتي نبراسا للإنسانية جمعاء دونما تحديد للزمان أو المكان.

هذه الأديان السماوية – التى تمثل العون الإلهي – كانت ضروره حتمية أيضا؛ إذ لا معني ولا قيمة ولا دور لإنسان خُلِق ليأكل ويشرب ويتزاوج.. إنسان لا دور له ولا رسالة، ولن يمثل وجوده شيئا أكثر من وجود الحيوات الأخرى.

وإذا كانت الإنسانية – خلافا لغيرها من الحيوات الأخري – يُناط بها رسالة سامية وهي خلافة الله في الأرض، والارتقاء بالمكان – الأرض – وتطهيره ليتوافق مع الروح الالهي فإن الأديان السماوية بما تحمله من تعاليم إلهية وتكاليف دينية تعين الإنسانية علي أداء هذه الرسالة تنزل مُنزّل الضرورة الحتمية التي لا تستقيم حياة الإنسان ولا تصلح إلا بها.

قال الله تعالي : **«وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبّح بحمدك ونقدس لك قال إني أعلم مالاتعلمون»** سورة البقرة – الآية ٣٠.

إذن الإنسان خليفةُ الله في الأرض بمنطوق هذه الآية، وخَلْقُه وإيجاده من عدم لحكمة إلهية وغاية ربانية : ألا وهي خلافة الله في الأرض.

ألا ما أشرفها من حكمة ! وما أسماها من غاية !

والسؤال الآن :

كيف يكون هذا الإنسان علي مستوي هذه الحكمة ؟ !

كيف يرتفع إلي هذه المنزلة العليا التي كرّمه الله بها ؟

كيف يتسامي بماديته إلي سموّ هذه الغاية.

كيف يتأتي له كل هذا وهو من هو ؟ ! كائن - خلافا لغيره من الكائنات الأخري - تصطرع داخلَه شتي أنواع النوازع، وتحتدم في أعماقه مختلف الرغبات المتباينة.. يتقاسمه الخير والشر، ويتنازعه العدوان والسلم، يدفعه الكره ويردّه الحب.. إنسان هذا شأنه كيف يتأتي له حمل هذه الأمانة ؟ وكيف يتأتي له الاضطلاع بما تستوجبه من تبعات : عمل والتزام، وتسامٍ وارتقاء، وكبح لنوازع وشهوات، وترويض لغرائز وطباع.. كيف ؟ !

ألا ما أسعده ! وما أشقاه ! علي حد سواء.

قال الله تعالي :

«إنا عرضنا الأمانة علي السموات والأرض والجبال فأبيْنَ أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان إنه كان ظلوما جهولا» سورة الأحزاب – الآية ٧٢.

إذن لابدّ – كما قلنا – من عون إلهي للإنسان، في منزلة الضرورة الحتمية، لتستقيم حياته وتمضي رخاء، وإلا فلن تَسْلُس له الحياة، ولن يهنأ له فيها عيش، أو يصفو له فيها مزاج، بل تستحيل جحيما وعذابا لا يطاق. وسيكون هذا كافيا ليدمر نفسه بنفسه؛ فيُصدق عليه ما يُصدق علي غيره من الفناء والانقراض؛ بل قد يستفحل هذا التدمير فيأتي علي غيره من الكائنات الحية الأخري، وبهذا يفوت المستهدف من خلقه وإيجاده.

لكن الله بالغ أمره، وسيكون هذا الإنسان خليفة الله في الأرض كما قضت مشيئة الله جل وعلا. وسيتم هذا الإنسان رسالته، كما قدّر له الله سلفا. وإذا كان في حاجة إلي العون الإلهي كحاجته إلي الضروريات الأخري فهذا العون ماثل وحاضر دوماً في صورة الأديان السماوية، ديناً بعد دين، إلي أن تُوّج بخير الأديان جميعا وخاتمها : الدين الإسلامي الحنيف : «اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم بالإسلام دينا».

لماذا كان هذا الدين – دون سائر الأديان – تتمة لنعمة الله ؟ ولماذا ارتضاه الله دينا لعباده ؟ ولماذا هو الدين القادر على تعضيد الإنسان وتمكينه من حمل الأمانة التي نيطت به ؟ ولماذا يمثل هذا الدين الآن طوق النجاة للإنسانية كلها في

زمن التيه والحيرة والضياع ؟ ولماذا يجد فيه أعداؤه كل يوم جميع مقومات الاعتدال ؟ ولماذا يتعجبون من مّده وانتشاره رغم كيدهم له والدس عليه ؟

ومحاولة الإجابة عن هذه التساؤلات كلها أمر شاق يتطلب معايشة حقة لهذا الدين استهدافا للوقوف على إمكانياته كدين قويم فيه صلاح أمر الدنيا، ليس للإنسان – خليقه الله – وحده وإنما لكل كائن على هذه الأرض حيا كان أو جمادا، ويخطيء من يظن أو يعتقد أنْ ليس للجماد صلاحُ أمر، ناسيا أو جاهلا أن الجماد – كغيره – له دوره في الحياة، وأن هذا الدور قد يُوّجه لخير البشرية فيكون في هذا صلاح لأمره، وقد يُوّجه للإضرار بها فيكون في هذا فساد لأمره.

وقبل أن نعرض لكل ما وفره هذا الدين من إحتياجات للإنسان يجب أن نحدد ما هي هذه الحاجات التي يجب أن تتحقق لهذا الإنسان ليتمكن بأريحية

تامة من أداء رسالته ؟ وهل وفرها له هذا الدين ؟

إن أول حاجة يهفو الإنسان إلي سدها هي الإيمان المطلق بوجود قوة عليا ذات قدرة مطلقة يدين لها ويجد راحة نفسه وسكينة فؤاده بالعبودية لها والالتجاء لها والالتجاء إليها، لائذاً من خوف أو منتصرا من ظلم أو مستعينا علي قهر.. قوة تملك ناصية الأمر كله؛ تمنح الثواب وتلحق العقاب، قوة لا تَغْفَل ولا تُغفِل، هذه القوة واحدة لا تتعدد فلا يضيع حقه بينها.

وهذه الحاجة سدها الإسلام بالدعوة إلي الإيمان المطلق واليقين الثابت الذي لا يتزعزع بوجود إله واحد أحد لا شريك له وليس كمثله شيء، قادر فينصر المظلوم ويعاقب الظالم، اله حتمي الوجود، اله عادل فلا يضيع حق لمخلوق،

إله أخبر بوجود دار أخرى، أعد فيها جنة ونعيما لمن أطاع وتوافق مع نهج الله، وجحيماً وشقاء لمن خرج عن هذا المنهج، وبذلك تنتفى عبثية الوجود، ويصبح للوجود – بأكمله – حكمة ورسالة.

هذا الإيمان – كحاجة ملحة وكضرورة حتمية – يمكن أن يملأ نفس الإنسان بالقوة والعزم والأمن النفسي العميق، ويبدّد أي خوف يمكن أن يطرأ على نفسه؛ فلا يهاب عظيما ولا يتقاعس عن نصرة مظلوم ولا يتخلي عن حق أو يؤازر باطلا عن رهبة أو خوف؛ فيكون – بهذا – صادقا مع نفسه ومع ربه، ويكون قادرا – بالتالي – علي حمل الأمانة.

الإيمان بوجود إله واحد أحد هو الحاجة الحتمية الأولي للإنسان – بعد حاجاته الثلاث الملحة – وبدونها يواجه الحياة بلا زاد أو متاع ويمضى فى عبابها بلا عُدّة أو عتاد، كزورق بلا ريح مواتية أو شراع قوي فيضل ويهلك.

الدين الإسلامى – إذن – ضرورة حتمية للإنسان الذي يطلب النجاة وتعاليمه مهما تعددت حتمية أيضا؛ فهي بمثابة الجزء من الكل.

يعمد الإسلام بعد دعوة الإنسان إلي الإيمان المطلق بالله إلي المواءمه تدريجيا بين النوازع المتناقضة داخل الإنسان؛ فيحاول أن يروّض من شرور النفس لصالح خيرها؛ فيُضعف من الأثرة لصالح الإيثار ومن حب الأخذ لصالح العطاء ومن القسوة لصالح الرحمة ومن البغضاء لصالح الحب ومن الغدر لصالح الوفاء ومن الانتقام لصالح العفو... إلي آخر النوازع والطباع البشرية.

ويأتي قول الله تعالى : «خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين» سورة الاعراف - الآية ١٩٩- تأييد النهج؛ لأن حب العفو والأخذ به من شأنه - إذا ساد كقيمه نبيلة - أن يُعمِّق من الروابط الإنسانية ويقوى من مشاعر الحب والإيثار والتعاون الجماعي ويقطع الطريق علي كل المنازعات والشقاق وانقسام الجماعة والأمر بالعرف» قيمة ثانية يمكن أن تقوّى من الولاء لكل ما اصطلح عليه الناس، فالعرف كل ما تعارف الناس عليه من جميل فاتبعوه ومن قبيح فاجتنبوه، ومن فطرة الطبيعة الإنسانية التي فطرها الله علي أحسن صورة وأكمل مثال حب الحق والخير والجمال وكل أنماط السلوك الحسنة المألوفة، واستنكار ورفض أي مسلك أو نهج فيه تجاوز للمألوف والمستحسن «وأعرض عن الجاهلين» أمر بمقاطعة كل من يخالف العرف الجميل السائد فيأتي بأفعال

الجاهلية من طيش وتهور وانفاع وحُمق دون تبصر أو روية.

هذه ثلاث من الهدايات الموجِّهة تقود الإنسان في مسيرته نحو غايته المُثلي وتعطي أمثلة للقيم التي تتوافق مع روح الإسلام السمحة.

لقد قدّم الإسلام الحلول لكثير من المشكلات الأخلاقية والسلوكية والمعاملات المالية وفروع العبادات والأحكام الشرعية شخصية وغير شخصية وكلها تتسم بالسماحة والتيسير ومراعاة الأعذار وتقديرها. **«يا أيها الناس قد جاءكم برهان من ربكم وأنزلنا اليكم نورا مبيناً»** سورة النساء – الآية ١٧٤.

ما من حكم شرعي ديني أو قضية أو مشكلة تلامس دنيا الإنسان وحياته إلا وللإسلام في كل ذلك معين لا ينضب، وله هدي وإرشاد.

لقد كان الإسلام – ومازال – مشعل هداية عن طريق الإنسانية أضاء لها طريقها فأخرجها من الظلمات إلي النور وأخذ بيدها إلي الحق وإلي الرشاد، وكان نقطة تحول في تاريخها الطويل، وانتقل بها من حياة الإثم والفساد والضلال إلي حياة الخير والحق والرشاد وأحدث في العالم كله من القيم والمفاهيم والمعايير ما صعد بالإنسانية وارتقي بها من دركها الأسفل إلي أبهج صورها وأسمي كمالاتها.

إذن الله لم يترك الإنسانية في خطوها الوليد دون مرشد أو دليل، بل أمدها بهذا الدين السمح الذي ينكر التصلب ويرفض الجمود ويراعي الضعف البشرى ويتفهم الأعذار ويقدر الدوافع؛ لقد أحلّ طيّبات وحرّم خبائث، ثم عاد فأباح هذه الخبائث للمضطر، لأن الضرورات تبيح المحظورات، وتقدر الضرورة بقدرها،

وإن هذا الدين مبنى علي اليسر ورفع الحرج، قائم علي الترخيص؛ فالله لا يكلف نفسا إلا وسعها ولا يأمر عباده إلا بما يطيقون. وإن إلقاء النفس إلي التهلكة حرام لا يجوز وأن الأشياء ينبغي أن تطلب بأسبابها ووسائلها المؤدية إليها، وأن للإنسان أن يطلب حظه من الدنيا، وأن من حقه إشباع غريزة التملك (الملكية الخاصة) علي ألا ينسي حق الله في ماله، وأن الإيمان والصبر سببان لنصرة القلة العادلة علي الكثرة الباغية وأن أكل أموال الناس بالباطل حرام، وأنه لا فساد ولا إفساد ولا تخريب ولا تدمير «لا ضرر ولا ضرار».

لقد حدد الإسلام الطريق ووضع المعالم فليس ثَمَّ عذر بعد الآن.

الحلال بَّين والحرام بّين، ولكل مسلك وطريق. فمن سلك طريق الحلال فقد نجا، ومن تنكّب طريق الحرام فقد هلك.

والإسلام عندما يحدد المحظورات وينهي عنها لا يبغي من وراء هذا إلا صالح الإنسانية وخيرها، فهو ينهي عن القتل حفاظا علي النفس ويُحَرِّم الرِّدة محافظة علي الدين، ويحرّم الخمر محافظة علي العقل وينهى عن السرقة حفاظا علي المال، وعن الزنا حفاظا عن العرض.. أليس في المحافظة علي هذا كله تحصين للإنسانية من السقوط والانهيار.

ماذا حدث عندما تمردت الإنسانية علي قوانين الله واستبدلتها بقوانين وضعية ظنا منها أن في هذا خيرها.. ؟ لقد اكتفت بالحبس – خلافا لحدّ الله – عقابا للزاني فماذا جنت غير شيوع الفاحشة بين الناس وانتشار الفسق والفجور وهوان الأعراض وكثرة الأمراض واختلاط الأنساب ؟

الإسلام يدعو الإنسان إلي الرحمة والتراحم والعفو والتسامح والصلاح والإصلاح والإيثار لا الأثرة، ونصرة الضعيف ومقاومة الظالم كما ينهي عن البغي والعدوان والفساد والإفساد..

فهل اغتصاب الكويت أمر يقره الإسلام ؟

هل ترويع الآمنين من تعاليم الإسلام ؟

هل سلب الأموال واغتصاب الحقوق من الدين في شيء ؟

هل هتك الأعراض واغتصاب العفيفات انتصار للإسلام ؟

هل الغدر من شيم آل البيت ؟

هل قتل الأطفال والنساء والشيوخ من روح الإسلام ؟

لقد انكشف الزيف وأبانت الخبيثة عن نفسها، ووقف أصحابها عراة في ساحة الديّان يصطلون بنار الخزي والهوان، ويواجهون بأشنع الجرائم والتهم، ولن ينجلي هذا الليل إلا عن صبح ولن تُسفر هذه العاصفة إلا عن ثأر؛ فالله يمهل للظالم حتي إذا أخذه لم يفلته وقد دارت الدائره علي الفئة الباغية وضاقت عليها الأرض بما رحبت فوعيد الله يحدق بها وسوء المنقلب ينتظرها: «**وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون**» سورة الشعراء - الآية ٢٢٧ .

إن كل ما اُقْتُرِفَ من جرائم وآثام علي أرض الكويت المسملة المسالمة يتنافي مع روح الإسلام ويتعارض تعارضا تاما مع تعاليمه السمحة؛ فقتل الأبرياء واغتصاب الحرائر وتدمير البيئة وإبادة الكائنات الحية التي سخرها الله للإنسانية من

الأعمال البشعة التى لا يقرها عُرف أو ضمير، وهي فساد وإفساد في الأرض من فعل شرذمة تلفعت بعباءة الإسلام فأساءت إلي الإسلام وإلي المسلمين.

ولن تنسي الإنسانية بسهولة رؤيتها لآلاف الطيور المائية وهي تموت اختناقا بالزيت الأسود، متطلعة إلى السماء وكأنها تتساءل في صمت وحيرة : ماذا يجري يا الله ؟ قال الله تعالي «**ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدى الناس**» سورة الروم – الآية ٤١ .

قد يقول قائل : ما ذنب الجيش العراقي المسلم وهو المنصاع قهراً تحت التهديد بالقتل. هذا تساؤل مردود فكما خرج هذا الجيش شاهراً سلاحه معرضا نفسه للموت في سبيل باطل ؟ أليس من باب أولي أن يعاود الخروج الآن في

سبيل حق : وهو القضاء علي الحاكم الظالم وشرذمته فيكون له نُبل القصد وشرف المسعي ؟

إن البحث عن تبريرات أو أعذار لن ينال من القناعة بانفراد الجيش العراقي المسلح بشعب الكويت الأعزل – وقد خُلِّيَ بينهما – فأعمل فيه القتل والتشريد وعاث في الأرض فسادا مدمرا ومخربا، وانقلب علي الآمنين ترويعاً واغتصابا وسطواً.

ألم يكن في إمكان هذا الجيش أن يتوقف بعد أن تمت له الغلبة وتحققت له السيطرة دون أن يتمادى في غيه ؟ ألم يكن في مقدوره أن يقف عند حد احتلال الأرض والإمساك بمقدراتها دون أن يسيل لعابه علي المحرمات فيفض الأبكار ويهتك الأعراض ويبقر البطون ويقتل الأجنة.. كان في مقدوره هذا

وأكثر، لكنه استحال إلي جيش تتري لا يُراعي حرمه لدين أو عقيدة أو لشيخ أو لطفل أو أمرأة.

لقد مارس هذا الجيش النذالة والخسة والوضاعة في الوقت الذي تتغنى فيه أبواق قيادته بأمجاده وبطولته وشرفه وهي القيادة الغارقة في مستنقع السقوط والرذيلة والفُحش.

من الحقائق المؤكدة والواقع الملموس أنه قد حِيل بين الإسلام وبين مجتمعه فلم يتفاعل كلاهما بالآخر، وظل الإسلام معطلا عن أداء رسالته، وبالتالى ظلت المجتمعات الإسلامية التي يظلها بتعاليمه محرومة من هديه وعطاياه وليس ثمة علاقة بين هذه المجتمعات وبين الإسلام الآن سوي التمسك بالإيمان بوحدانية الله ورسالة نبيه تاركة تعاليمه وهديه دون استفادة لفرصة أفضل.

وللأسف فإن كثير من الساسة الإسلاميين هم الذين عملوا علي الحيلولة بين الإسلام وتفاعله داخل مجتمعاتهم الإسلامية – ربما خوفا من صحوة إسلامية تعرضهم للمساءلة أو تضعهم تحت مجهر لا يرغبونه.

. والذى يعود بأزمة الخليج إلي أسبابها الحقيقية يجد أنها ثمرة ونتيجة لتعطيل الإسلام عن أداء دوره في بلد يُقال إنه مسلم هو العراق.

لقد حرص الساسة في هذا البلد ألا يُمكنوا للإسلام فيه ولا يتيحوا له فرصة ما لتنتشر تعاليمه فتقطع عليهم طرق الفساد والإفساد والفسق والانحلال وتحول بينهم وبين ما يشتهون.

إن قيم الإسلام من حلم وعفو وتسامح وحسن جوار ووفاء بالعهود

والمواثيق ورحمة وتراحم وشهامة ونجدة ورجولة ومروءة ونجدة للمكروب وصيانة للأعراض وصدق وأمانة كانت كفيلة – لو أتيح للإسلام أن يتفاعل مع مجتمع العراق الإسلامي – أن توقف هذه المجزرة قبل أن تبدأ، بل لم تكن لتبدأ أبدا، أو تطل برأسها.

فإذا كان الإسلام حاجة ملحة وضرورة حتمية لخير مجتمعاته مثل الماء والهواء فإن الواجب علي المسلمين أن يُمكنوا له وأن يسمح الساسة منهم بتفاعل الإسلام مع مجتمعاتهم؛ فإن التربية الإسلامية والبناء الإسلامي القويم للنفس البشرية كفيل بأن يُنشّيء أجيالا تلو أجيال مسلحة بالقيم النبيلة والمثل العليا، وأن يحقق مجتمعات إسلامية لا تعرف التطرف أو العنف أو الجريمة أو الانحراف.

وأعداء الإسلام يُدركون هذا جيدا ويعرفون قبل غيرهم ما يمكن أن يترتب لو خُلِّي بين هذا الدين وبين مجتمعاته الإسلامية ولم يُحل بينه وبينها.

إنهم يعرفون – قبل غيرهم – ما لهذا الدين من سحر في القلوب ومن سطوة علي النفوس، ومن قدرة وفاعلية علي البناء النفسي وخلق الرجال ولهذا يُدبِّرون ما يدبرون ويحيكون ما يحيكون.

إنه المخطط العلماني لمحاربة الإسلام والقضاء عليه عن طريق الإباحية والانحلال تحت دعاوي براقة من الحداثة مقابل الأصالة والمعاصرة مقابل السلفية، ناسين أو متناسين ألا تعارض بين الحداثة والأصالة وبين المعاصرة والسلفية وأن الإسلام يدعو إلي إعمال الفكر والأخذ بأسباب الحياة والتطور وبرفض الثبات والجمود.

إن تجنيد المئات من الكتاب والمفكرين وعقد المؤتمرات وإقامة المهرجانات بما يتخللها من فسق وإنحلال وفجور لمناقشة قضايا الحداثة والمعاصرة والعلمانية والأيدلوجيات المشبوهة وإقامة نوع من الولاء بين الشباب وبينها ما هو إلا دعوة سافرة لإعطاء الظهر للقيم الإسلامية والتوجه كلية إلي هذه الأفكار المشبوهة والنظريات الوافدة حتي يأتي الوقت لفصل الدين عن الدولة.

مخططات غربية وأصابع خفية وذمم خربة.. أقلام مأجورة واستمالة شباب مضلّل تحت دعاوي زائفة وشعارات براقة ولافتات خادعة. والويل للمسلمين لو غفلوا أو تغافلوا، لو صالحوا أو هادنوا؛ فلن يكون الخطر بعيداً، وستتكالب عليهم الأمم كما تتكالب الأَكَلَةُ إلي قصعتها؛ مصداقا لقول رسول الله صلي الله عليه وسلم

ليس من الإثم في شيء مواجهة هذه المخططات المشبوهة بمخططات مضادة، بل يكون من الفطنة وحسن التصرف احتضان هذا المد الديني لدي الشباب المسلم وترويضه بالتبصير العلمي والإقناع ليكون جبهة متماسكة في مواجهة هذه المؤامرات الشرسة التي تخطط للقضاء علي الإسلام أو محاصرته.

إن ما حدث علي الساحة الإسلامية العربية – إبان أزمة الخليج – ليؤكد غفلة المسلمين، وأن هناك عقولا تفكر لهم وترسم سياستهم وتوجه مستقبلهم، بل أن هناك ما هو أبشع، إذْ تُستخدم عقول بعض ساستهم (كصوبات الزراعة) لغرس أفكار معينة ورعايتها حتي تؤتي ثمارها فتقود إلي مواقف مستهدفة وسياسات منشودة بواسطتها يتم تآكل المسلمين أو إضعافهم.

قليل من كثير ذلك الذي يُراد بالإسلام، فالحرب اللبنانية وحرب العراق وإيران وحرب الخليج وما يحدث في أفريقيا وآسيا من تبديل ديانة الأطفال المسلمين إلي المسيحية تحت ضغوط العوز والفاقة ما هو إلا خطوات علي طريق طويل لضرب الإسلام.

أيمكن أن يصل الأمر إلي هذا الحد دون أن يتحرك المسلمون لمواجهة هذا الخطر أو درئه علي الأقل ؟ إن الأزمة تكمن في فتور الهمم وضعف العزائم وغيبة الغيرة الإسلامية، بل قل استفحال اللامبالاة والانشغال بقضايا أخرى أهم فى نظر البعض من الانشغال بقضايا الإسلام أو الخطر المحدق به.

إن من ينظر إلي أزمة الخليج من منظور سياسي أو اقتصادي يغفل زاوية هامة للغاية. ألا وهي الزاوية الدينية.. فلم يكن الدافع السياسي أو الاقتصادي دافعا

قويا لنسج خيوط هذه المؤامرة بقدر ما كان الصراع الديني ألا يحق لنا أن نتساءل . لماذا تغاضت الدول الأجنبية طيلة هذه السنوات عن تكديس العراق لترسانته الحربية ؟ ولماذا ساندته عندما تصدي للتيار الإسلامي داخل العراق وخارجه ؟ أليس في سبيل القضاء علي الثورة الإسلامية الوليدة وإضعافها أو الحد من إنتشارها علي الأقل. أليس في الإيعاز إلي دول الخليج وإلقاء الروع في نفوسها من الخطر القريب القادم قطع للوشائج الإسلامية وبث هاجس الشك وفقدان الثقة بينها.

مواقف مريبة وسياسات مشبوهة وتحركات محسوبة لا تُفصح عن نفسها أو تبين. وشتان بين المصرّح به والمنشود.. ومن حسن حظ المتآمرين أن مسلمي اليوم

حسنو النية طيبو السريرة، تخدعهم المظاهر وتضللهم الأكاذيب فلا يفطنون أن السم في العسل وأن الخنجر في الظهر وأن الحية الرقطاء ناعمة الملمس.

إن الفرصة مواتية الآن لإحداث صحوة إسلامية علي ضوء الدروس المستفادة من أزمة الخليج، وهي دروس مفيدة للغاية لمن يحسن استخلاص العبرة واستنباط العظة واكتشاف خفايا الأمور.

الصوت الإسلامي جدير بأن يُسمع وأن يُصغي إليه وأن يُلتفّ حوله، فهو الصوت الباقي بعد أن خفقت الأصوات، وهو الصوت الذي يلقي في روع أعداء الإسلام بهديره المدويّ : «أننا أقوياء بهذا الدين وأنه باق إلي أن يرث الله الأرض ومن عليها» .

يجب ألا ندع أزمة الخليج تمضي قبل أن نعيد قراءة الملف الإسلامي من جديد، وأن نضع ملاحظات هامة علي هوامشه بعد أن أبانت هذه الأزمة عن كثير من النوايا المبيتة وكشف النقاب عما يجرى خلف الكواليس؛ فالمؤامرة وإن كانت محكمة، والمستهدف وإن كان خفيا فلابد لكل مؤامرة مهما أُحكمت خيوطها من ثغرة تقوّض دعائمها وتضعف من إحكامها. «**ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين**». سورة الانفال - الآية ٣٠.

(محمد متولى الشعراوى)

الفصل الأول

قضية الإنسان المؤتمن على حماية كلمة الحق

هذه هي عظمة التشريع حين يتسامي،
فلا يعزل المنحرف وحده، إنما يعزل
عنه المجتمع، وهو حر في هذا المجتمع

محمد متولى الشعراوى

نناقش في هذا الفصل مجموعة من الجوانب والأبعاد المتعلقة بوضعيه القوه في الإسلام.. المواصفات الواجب توافرها في الإنسان المؤتمن علي حماية كلمة الحق.. وأهمية أن يكون القتال في سبيل الله سبحانه وتعالي خالصاً لوجه الله.. ووظيفة التربية الإيمانية في تحقيق مجتمع الكفاية والأمن.. وأهمية الاستعداد لمواجهة الاعتداء الخارجي.. والقوة الروحية في الإسلام والقوة المادية.

لم يشأ الله سبحانه وتعالي أن ينتصر الإسلام من مركز السيادة ومنابع القوة، فانتصر في المدينة وانطلق، حتي يعلم الناس جميعاً وتردد الدنيا كلها أن العصبية لمحمد لم تخلق الإيمان بمحمد، ولكن الإيمان بمحمد هو الذي خلق العصبية لمحمد.

إذن فالعصبية تبع للإيمان، وليس الإيمان تبعاً للعصبية، وبذلك انطلق مبدأ الإسلام انطلاقاً مدوياً في الكون ليضع للناس مبادىء العدل والحق والخير والجمال.

ونحن حين نستقرىء أوضاع الناس في الأرض نجد الناس لا يخرجون عن لونين:

- لون عاقل تقنعه الحجة ويقنعه البرهان.
- لون جاهل يتمادي في جهالته نكراناً للإقناع وعدم انصياع للحجة.

«**وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلماً وعلواً**» سورة النمل – الآية ١٤

فإذا أراد الله لمبدأ من مبادىء الحق أن يسود، فلابد أن تكون للحق قوة تقنع بالبرهان وقوة تردع بالسنان.

ولكن.. من الذي يؤتمن علي أن يحمل السيف ليحمي كلمة الحق ؟ .. من الذي يؤتمن علي أن يحمل السيف لحماية كلمة الحق ؟

الإجابة.. لا يؤتمن إلا إنسان له مواصفات خاصة، وهذه المواصفات الخاصة لابد وأن تكون نميت فيه في مدرسة النبوة، وعلي يد الرسالة، عقيدة صلبة قوية لا تلين، وعهد ايماني يصدق الإنسان فيه، ورباط في سبيل الله واستهانة بكل ما في الدنيا من متع ونعيم وجاه وسلطان لتنتصر كلمة الحق.

ومن القادر علي إيجاد هذا اللون ممن يحملون السيف ليحموا العقيدة وليحموا الحق ؟ ومن الذى يضمن لنا أن من يحمل السيف لا تطغي به قوته فينحرف بالقوة إلي حيث لا تراد القوة ؟

لابد أن يربي هذا المرء علي عين النبوة، وحين يربي علي عين النبوة يكون إنساناً أميناً علي أن يحمل السيف ليستعمله في موضعه الصدق.. وليستعمله في موضعه الحق.

وإذا نظرنا إلي تاريخ الرسلات في الأرض – منذ رحم الله الخلق بإرسال الرسل – وجدنا موكب الرسالات لا يتعدي أن يأتي الرسول بمنهج ربه مؤيداً بالمعجزة التي تؤكد صدقه في التبليغ عن الله، وليس عليه إلا ذلك، فليس عليه أن يتدخل ليحمل الناس علي أن يقولوا كلمة الحق، وليس له أن يتدخل ليفرض قوة علي قوة، ولكن السماء هي التي تتدخل، فحين يلج الباطل في عناده وينصرف الناس عن الحق، هنا تتدخل السماء لتأديب هؤلاء، «**فكلا أخذنا بذنبه**» سورة العنكبوت – الآية ٤٠ – لذلك نجد قوماً أغرقهم الطوفان، ونجد قوماً خسفت بهم الأرض، ونجد قوماً أهلكوا بريح صرصر عاتيه.

هذا هو تأديب السماء، ولم يكن تدخلاً من جانب الرسل أو أتباع الرسل ليحموا به العقيدة بغير الحجة والبرهان والمنطق، لأن السماء تحملت عنهم ذلك.. لأن الإنسانية لم تكن قد بلغت رشدها، فالأديان تطورت، ديانة محدودة الزمان، وديانة محدودة المكان، تأتي لتصحح جزيئاتها، فإذا استعدت الأرض كلها وتصححت جزيئاتها أمكن لدعوة عامة أن تجيء فتشمل الدنيا كلها زماناً ومكاناً وتشريعاً مستوعباً لكل قضايا الحياة.

القتال في سبيل الله لابد أن يكون خالصاً لوجه الله :

يدعي البعض أحياناً أنهم يقاتلون في سبيل الله، والقتال في سبيل الله لابد أن يكون خالصاً لوجه الله سبحانه وتعالي، وليس لهدف آخر تبغي الفئة المقاتلة تحقيقه كالحفاظ علي الأرض أو توزيع الثروات، أو غير ذلك من أهداف دنيوية يسعي الإنسان إلي تحقيقها.

لقد طلب بعض بنى إسرائيل أن يقاتلوا في سبيل الله، ولكن ذلك الطلب لم يكن خالصاً لوجه الله وإنما كان – كما يقولون – لأنهم أُخرجوا من ديارهم وتركوا أبناءهم، ففي ذلك شبهة هي أن الحماسة للقتال لم تكن لله وحده، وإنما كانت للغيرة علي الأرض وللغيرة علي الأبناء.

يضرب الله ذلك المثل فيقول :

«ألم تر إلي الملأ من بني إسرائيل من بعد موسي إذ قالوا لنبى لهم ابعث لنا ملكاً نقاتل في سبيل الله قال هل عسيتم إن كتب عليكم القتال ألا تقاتلوا» سورة البقرة – الآية ٢٤٦..

أى أنكم تطلبونه الآن، فإذا فرض عليكم وعرفتم أنه سيمسكم شيء من النَصَب والتعب، ربما تنصلتم مع أنكم الطالبون..

«قالوا ومالنا ألا نقاتل في سبيل الله وقد أخرجنا من ديارنا وأبنائنا» سورة البقرة – الآية ٢٤٦..

فاستجاب الله لهم وكتب عليهم القتال، فماذا كان الموقف ؟ كان الموقف أن تولوا إلا قليلا منهم.

إذن فهم ساعة الطلب اللساني، كانوا طالبين للقتال، فلما أصبح القتال حقيقة واقعة تولوا إلا قليلاً منهم.

هؤلاء القليلون، هل ثبتوا عند التجربة والاختبار والامتحان ؟ كلا، لما كتب عليهم القتال تولوا إلا قليلاً منهم، وبعد ذلك أراد الله أن يختبر هذه العزائم، فهذه القلة، التى لم تتول جعلها الله أيضاً موضع الاختبار.

يقول الحق : انه ابتلاهم بنهر **«فمن شرب منه فليس منى ومن لم يطعمه فإنه منى»** سورة البقرة – الآية ٢٤٩– فلما ذهبو إلي النهر هؤلاء الذين لم يتولوا عندما كتب القتال، شربوا منه إلا قليلاً، إذن فالقليل أخذ منه القليل.

وبعد ذلك، القليل الذي شرب، حينما واجه العدو قال : **«لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده»** سورة البقرة – الآية ٢٤٩ ..

«قال الذين يظنون أنهم ملاقوا الله كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله» سورة البقرة – الآية ٢٤٩ ..

التربية الايمانية ومجتمع الكفاية والأمن

هنا، نجد مصافي البطولة، ونجد غرابيل القوة والشهامة، لم يستمع الله لهم حين طلبوا القتال، فنبههم إلي أنه إن كتبه عليهم فسيتولون، وقد فعلوا فعلاً، تلك مصفاه.. وجاءت المصفاة الثانية بالابتلاء، ابتلاهم بالنهر فشربوا إلا قليلاً.. وبعد ذلك واجهوا العدو، تلك مصفاة ثالثة، ثبت قليل منهم.

إذن، فلا يمكن أن يعد للقتال إلا إنسان قد مر بمصاف متعددة، تصفي شوائب نفسه وخور عزيمته، وجبن إرادته حتي لا يبقي لجند الحق إلا هؤلاء، أهل الصمود والمعدن القوى، والعقيدة الصلبة التى لا تلين أبداً.

لذلك مر الإسلام بمراتب من الضعف حتي لا يثبت فيها إلا الأقوياء الذين اضطهدوا في أبدانهم، واضطهدوا فى أموالهم، واضطهدوا فى أوطانهم، فمن ثبت مع هذه الشدة، فهو الذى يصلح لأن يحمل للإسلام سيفه، وهو الذي يصلح لأن يمثل قوة الإسلام.

إذن، فالإسلام إنما جاء – أولاً – فى صورة يُبتلى بها المؤمنون، «**وليمحص الله الذين آمنوا**» سورة آل عمران – الآية ١٤١.. وإذا كنا ننظر إلى المراد من الكون للحق، نجد أن المراد من هذا الكون هو إيجاد الحياة الفاضلة والحياة المثالية.

ويظهر سؤال حول ماهية وعناصر الحياة الفاضلة أو الحياة المثالية والجواب.. هى إطعام من جوع «أى مجتمع الكفاية».. وأمن من خوف «أي مجتمع الأمن والسلام».. لذلك، حينما امتن الله علي قريش، بأنه أطعمها من جوع، ضمن لها بقاء الكعبة وكانت مصدراً إقتصادياً لحياة أبنائها، حين تفد القبائل والناس فيرزقون منهم، وحين جعل لها من المهابة قدرا يأمنون به في تجارتهم إلى الشام واليمن.

قال تعالي «**فليعبدوا رب هذا البيت * الذى أطعمهم من جوع * وآمنهم من خوف**» سورة قريش الآية ٢، ٢، ٤.. تلك هي مقومات الحياة، وهذه هي المقومات التي تعتبر الدعوة والشعار الذى ينادى به كل مصلح الآن، إذا نظرت إلى كل مصلح وجدته يطلب مجتمع الكفاية والأمن.

ولكن.. أيحقق البشر للبشر مجتمع الكفاية والأمن ؟

لا يمكن ذلك دون الالتزام بشريعة الله.. لأن الشعارات لا تبني نظماً، وإنما تبني الشعارات قوماً يستفيدون من هذه النظم، فإذا تمكنوا من الإفادة منها، حملوا لب هذه النظم، وجوهر هذه النظم، فيريد الحق – سبحانه وتعالى – أن يأتى برسالات السماء، لتثبت فى الناس مجتمع الكفاية والأمن.

ومجتمع الكفاية الذى يوفر للناس مقومات حياتهم، ميادينه مختلفة ومهماته متعدده، تتحقق فيمن يبحث فى الصحة ليضمن السلامة، وفيمن يبحث في الأرض ليستخرج منها الأقوات، وفيمن يبحث في المادة ليبتكر مرفهات الحياة وميسرات الوجود.

ولكن هب أن كل ذلك وجد، وبعد ذلك وجدت شراسة في الكون أو وجدت الشراسة في ذات القوم، أو وجدت الشراسة من خارج القوم فسينغص ذلك عليهم مجتمع كفايتهم.

إذن فلابد من جهة أخري تضمن التوازن، وتحقق الأمن في داخل الأمة، وتحقق لهم الأمن من مخاوف خارجها.

والأمن في داخل الأمة المؤمنة يتولاه الوالي بما يأخذ من يد الله من تشريع، يبين حدود الله، فمن تعدى هذه الحدود فكسرها، فهناك التحريم وهناك العقوبة، حين تجد ذلك، تجد أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قد تسامى في هذه المسألة تسامياً لم يتحقق لأي أمة، ولا لأي حضارة، ولا لأية مدينة.

لم ينشيء الرسول - صلى الله عليه وسلم - سجناً ليؤدب فيه المنحرفين، وإنما أنشأ شيئاً آخر، وهو أن يُسجَن الذى أجرم وهو حر فى المجتمع فهو لا يسجن المجرم ولكن يسجن كل المجتمع عنه، يعيش بانطلاق حريته، ويعيش بين الناس وهو غريب عنهم، يتحكم في الناس ولا يتحكم في الفرد الواحد، فيقول للناس : اعزلوا هذا الذى انحرف عن مجتمعكم.

وحين يصدر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كلمة تعزل المنحرف عن المجتمع، يستمع المجتمع كله، لا مودة للمنحرف ولا ود لمنحرف ولا سلام لمنحرف ولا كلام مع منحرف، ويتسامي فيأتي إلي أهل ذلك المنحرف أي في بيته فيأمره هو ألا يقرب أهله.

هذه هي عظمة التشريع حين يتسامي، فلا يعزل المنحرف وحده، إنما يعزل عنه المجتمع، وهو حر في ذلك المجتمع.

هذا كعب بن مالك وهلال بن أمية ومرارة بن الربيع، تخلفوا جميعا عن غزوة تبوك، ولم يتخلفوا عن عذر، لأنهم كانت لهم قوة يستطيعون بها أن يجدوا الزاد والراحلة والسلاح، ومع ذلك تخلفوا، فلما جاء رسول الله صلي الله عليه وسلم أقبلوا عليه معتذرين بصدق، لم يكذبوا ولم يقولوا : لم نجد بل قالوا : لم نكن أيسر حالاً في ذلك الوقت، ولكن تخلفنا وتخاذلنا عن غير حاجة، فيقول الرسول صلي الله عليه وسلم لهم «انصرفوا حتي ينزل الله فيكم حكمه» ولكنه أمر الناس ألا يكلموهم، فلم يكلمهم أحد، وتسامي الأمر فعزل كل واحد منهم عن أهله، تلك قوة الكلمة حيث تعزل الرجل عن أهله، ولا رقيب في البيت بين الرجل وأهله.

ويتسامي التشريع الحاكم مع المنحرف، إلي أن يجعل الرسول – صلى الله عليه وسلم – لا يأمر علي المنحرف بعقوبة، بل يجعل المنحرف نفسه في عقوبة علي جريمة اقترفها بينه وبين ربه، ثم يحكم علي نفسه الحكم، فهذا «أبو لبابة» تبدو منه بادرة يشير بها إلي اليهود، إنكم إن قبلتم عهد رسول الله، فإنه القتل، فلما قالها، قال «والله لقد علمت حين قلت ذلك انني خنت الله وخنت رسوله».

لم يطلع عليه أحد في ذلك الوقت، ولكنه عرف ما كان من جريمة نفسه، فذهب إلي سارية المسجد، وفوجيء به صحابه رسول الله مربوطاً في السارية، سألوه لماذا ؟ قال أذنبت ذنباً هذا الذنب هو كذا وكذا. ولم يعلم به أحد، ولا يكفر عن ذنبى إلا أن أربط نفسى فى سارية المسجد – أى عمود المسجد – فكان إذا جاءت الصلاة يحل نفسه ويصلى، ثم يعود فيربط نفسه ويقول «والله لا أفك نفسى ولا أحلها حتي يفكنى رسول الله صلى الله عليه وسلم».

ذلك شيء رائع.. أن يذنب الإنسان فى فترة من فترات الضعف ذنباً ولا يراه أحد، ومع ذلك يعاقب نفسه ويفضح نفسه أمام الناس الذين لم يروه تلك هي التربية التى تربى الناس ليضمن الحق - سبحانه وتعالي للناس أمنهم الداخلي، أمن داخلهم.

أهمية الاستعداد لمواجهة الاعتداء الخارجي :

لا يأتي كل خوف للناس من الداخل، إن الخوف الأشرس والأشد هو الذي يأتي من الخارج، لأن الإنحراف الداخلى من المؤمنين يكون بغفلة نفس ربما تؤوب فترجع فتتوب، ولكن الخوف حين يفد من خارج يكون من عدو.

إذن، فلابد أن تكون في الأمة قوة، هذه القوة تصون أمن الناس في الداخل، وتصون علي المؤمنين أمنهم من خوف خارجي، لذا يجب أن تكون للمؤمنين قوة، هذه القوة لم تكن قوة محددة، بل كل فرد في الإسلام كان معداً لهذه القوة، بحيث إذا جاء النفير لأى لون من ألوان الجهاد، وجد كل واحد صالحاً لأن يحمل سلاحه وأن يخوض المعركه مستعداً لذلك.

ولذلك يأتي النص ليقول : «خيركم رجل ممسك بعنان فرسه، كلما سمع هيعه طار إليها».

إذن لابد من وجود قوتين.. قوة تحمي الأمن الداخلي من الانحرافات الجزئية، وقوة تحمي الأمن من عدو خارجي.. وهؤلاء الخارجون هم أعداء الإسلام.. والقوي لم تنشأ إلا لحماية القيم، فحين تكون القيم منهارة فلا معني لوجود قوة، لأن القوة في الإسلام لم تجيء لحماية الأرض فقط، وإنما جاءت لتحمي الأرض التى تحمل هذه القيم، إذن فالقيم هي الأساس المقصود بالحماية، فحين تتخلي أمة في الأرض عن قيمها فما الذي يحمي فيها ؟ لا يحمي شيىء، لأن الأرض إنما روحها القيم، فإذا ما ذهبت القيم، فالأرض شيىء هباء بعد ذلك.. كذلك القيم الإيمانية، تحمي الإنسان وتعطيه

مناعة ضد أن يغزوه عدو خارجي.. ويخاف الإنسان من غزو العدو الخارجي لأنه يخاف أن يفتن في القيم، يخاف أن يفتن فى الدين، أى أن خوفنا من أن يغزونا عدو خارجي لم ينشأ إلا لأننا نخاف علي قيمنا من أن نفتن فيها.. ولذلك كان المطلوب منا ألا ندخر القوة لوقت الحاجة.. لأننا إذا ادخرنا القوة لوقت الحاجة ربما عاجلنا عدونا عن غير عدة وغير استعداد فيصيب منا ما يريد فجأة.

لذلك طلب الحق – تعالي – من المؤمنين أن يحتاطوا لهذا الأمر احتياطاً قوياً فيقول : (**وأعدو لهم ما استطعتم**) سورة الانفال – الآية ٦٠ – والإعداد يكون قبل ولوج المعارك أى قبل الدخول فيها والتلظى بنيرانها.

و «ما استطعتم» تدل علي أن كل إمكانيات الأمة وكل مواهبها يجب أن تتعاون وأن تتكاتف علي أن ترد العدو الخارجي، إن حدث نفسه بخرق حدودنا الإيمانية أو القيم الإسلامية.. و «ما استطعتم» هذه تعطي العذر للمؤمنين حينما تكون إمكانياتهم ضعيفة، يجب ألا يقفوا ويقولوا : إمكانيات عدونا أكبر من إمكانياتنا.. لأن الله طلب منا أن نعد ما استطعنا، وحين نعد ما استطعنا في إخلاص للاستطاعة بدون كسل، وبدون تهاون، فإن علي الله أن يقوي هذه الاستطاعة تقوية تجعل الجيش القليل فى العدد أو القليل فى المعدات، يغلب الجيش الكثير فى العدد والقوى والمعدات.

ولذلك يعلمنا الحق – سبحانه وتعالي – ألا نخور لأن قوانا أقل من قوي عدونا، لماذا ؟ .. لأنكم لا تدخلون المعارك وحدكم وإنما تدخلون بربكم يحميكم وبربكم يعينكم.. كيف يقول الحق ذلك ؟

يقول الله : – سبحانه وتعالي – حين يريد أن ينصركم علي عدو كثير العدد قوي المعدات فلا تستعجبوا ذلك.. لأن اله – سبحانه وتعالي – سيلقي في قلوب عدونا الرعب، ومتي ألقي الحق في قلوب عدونا الرعب فلن ينفعه عدده، ولن تنفعه معداته،

وحين يلقي في قلوب العدو الرعب ويتراجع – ولو – شبراً واحداً يقوي الجندي المؤمن، ويكون كل عتاد العدو القوي للمؤمنين الضعفاء.

إذن، فالحق يطلب منا دائماً أن نعد ما استطعنا وأن نكمل تلك الاستطاعة بيقين قوي من الله، ولذلك يضرب لنا الحق – سبحانه وتعالي – المثل في ذلك فيقول **(يا أيها النبي حرض المؤمنين علي القتال إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين)** سورة الانفال – الآية ٦٥.

فإذا نظرت إلي النسبة بين عشرين وبين مائتين، وجدت نسبة واحد إلي عشرة، أي أن المؤمن الواحد بقوة الله له لابد أن يقاوم عشرة، فإذا نزلت النسبة عن ذلك، فهو ناشيء عن ضعف قوة اليقين وقوة الإيمان بدليل أن الله لم يحافظ لنا علي هذه النسبة لعلمه بأن قوتنا قد تضعف فبعد أن كانت النسبة من واحد إلي عشرة قال – سبحانه وتعالي – **(الآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفاً فإن يكن منكم مائة صابرة يغلبو مائتين)** سورة الانفال – الآية ٦٦.

إذن فالمسأله انتقلت من واحد إلي عشره، إلي واحد إلي اثنين.. والتخفيض الذي طرأ علي هذه النسبة يرجع إلي الضعف، الضعف في اليقين والضعف في الإيمان.. فإذا هزمت قوة مؤمنة أمام قوة كافرة دون هذه النسبة، فنعلم أن ذلك ناشيء من ضعف إيماننا، ولذلك يضرب الله مثلاً ثانياً، فيقول : **(إذ تقول للمؤمنين ألن يكفيكم أن يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين * بلى إن تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين)**. سورة آل عمران – الآية ١٢٤، ١٢٥. إذن علي مقدار تقواكم وعلي مقدار صبركم وعلي مقدار إيمانكم، وعلي مقدار صدقكم العهد مع الله في الصفقة التي عقدها، تكون معونة الله لكم.. فالمؤمن القوي هو الذي يقدر أن يحدد مقدار معونة الله له، فإن أرادها معونة قوية فليقبل بتقوى قوية،

وإن أرادها معونة قوية فليقبل بإيمان قوي، لأن القوة العددية حين تلقي القوة الإيمانية، لا يمكن أن تثبت معها أبداً.

ولذلك، نجد أن الحرب الإسلامية الإيمانية، ابتدأت في بدر وحينما ابتدأت ماذا كان عدد المسلمين ؟ وماذا كانت عدتهم ؟ وماذا كان عدد المعكسر المقابل وهم الكافرون ؟ .. ألف أمام ثلاثمائة عدد كثير أمام عدد قليل، وعُدة متوافرة أمام عدة قليلة، ولكن الله أراد أن يستهل نفوس المسلمين استهلالاً يثبت الإيمان في قوتهم، لأنهم ليسوا معزولين عن الله، وإنما موصولون بالله.

وبعد ذلك يأتي واقع المعركة الذي يحقق مبادىء يجب أن ننتبه إليها، فما هي هذه المباديء ؟

كان أبو بكر الصديق رضي الله عنه في صف رسول الله، وابنه قبل أن يسلم كان في صف الكفار، وبعد أن آمن قال : يا أبت لقد لقيتك يوم بدر فلويت وجهي عنك، أي أنه يقول : كان من الممكن أن أقتلك، ولكنني صرفت وجهي عنك، فيقول له أبوه أبو بكر : أما والله لو رأيتك في المعركة لقتلتك.

نحن أمام موقفين.. موقف يمثل الحق لا يجامل، وموقف يمثل الباطل حين يلقي الحق فيتخاذل.. كلام أبي بكر – رضي الله عنه – منطقي مع عقيدته وكلام ابنه منطقى مع عقيدته.. لأن ابن أبي بكر حين يلقي أباه، أبوه له حق الأبوة عنده، وهو ليس علي دين حتي يغار عليه، فحين يقارن حق أبيه وحق ماذا ؟ لو كان مؤمنا بأن عقيدته التي يقاتل عليها عقيدة حقه، لهان أبوه في نظره، ولكنه حينما قارن حق أبيه لم يجد حقاً مقابلاً ليقارنه به بل، وجد باطلاً فوجد أبيه أفضل من لا حق يقف هو في صفه، وأبو بكر – رضي الله عنه – كان أيضاً منطقياً مع عقيدته، لأنه مع الحق الإيماني، وابنه لا يغني عنه من الله شيئاً، إذن فقد قارن بين حق لابنه وحق لربه، فآثر

أن يكون مع حق الرب، وإن كان ذلك على حق الابن، فقال : لو تراءيت لي في المعركة لقتلتك.

تلك هي العقيدة الإيمانية حين تقاتل لكلمة الله، فيجب ألا يستقر في الذهن أبداً إلا كلمة الله، ولا أنساب ولا أحساب ولا صلات لأن صلة الإنسان بربه أولي بصلته بمن خلق الله.

ما حدث بين أبي بكر وأبنه يعطيناً مثلاً للمباديء التي يجب أن نتنبه إليها..ومثال آخر، مصعب بن عمير، كان له أخ أسمه أبو عزيز، ومصعب وأبو عزيز كانا مدللين في قريش لأبويهما غني ولهما في ذلك الغني ترف، ولكن مصعباً – رضي الله عنه – أمتلأ قلبه بحب الإيمان فأمن وهاجر وعاش فى عيشة فقر وفاقه حتى أن رسول الله – صلي الله عليه وسلم – يراه وهو في المدينة يلبس جلد ماعز ليستر به عورته، فيقول «انظروا إلي هذا الرجل، كيف فعل به الإيمان، والله لقد رأيته وما في مكه فتي أعز منه، ولكن هكذا صنع به الإيمان».

يلتقي مصعب بن عمير بأخيه أبي عزيز، وأبو عزيز كان لايزال في صف الكافرين، وبعد ذلك يأسره أنصاري يقال له أبو اليسر، فيمر مصعب علي أخيه وهو في قبضة الأسر، فيقول لأبي اليسر «أشدد يدك علي أسيرك فإن أمه غنية وستفديه بمال كثير فيقول له أخوه أبو عزيز «أهذه وصاتك بأخيك يا مصعب» فيقول له «هذا أخي دونك».

إذن، فحسب الإيمان ونسبه هو الحسب الذي يجب أن يُعتد به، ويتسامي ترجيح ذلك النسب علي النفس ذاتها، ومعني النفس ذاتها أن يجود الإنسان بنفسه، ويعتبرها رخيصة أمام الصفقة التي ينتظرها لأن الصفقة مربحة.

فالله يقول فيها (**إن الله اشتري من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة**) سورة التوبة – الآية ١١١ – فالمشترى الله والمشترى نفوس المؤمنين، والثمن الجنة وما غاية

الإنسان إلا أن يعيش سعيداً فإذا ما كان الثمن الجنة فليتعجلها كما يتعجلها الصحابي الذى قال لرسول الله – صلي الله عليه وسلم – : أليس بيني وبين الجنة إلا أن أذهب إلى هؤلاء أقاتلهم فيقتلونى ؟ «قال : نعم» وكانت في فمه تمرات فاستبطأ أن يظل حياً إلى أن يمضغ هذه التمرات والق بالتمرات وخاض المعركة فقتل.

وأيضا جمال الصفقة وأغراؤها يجعل المعذور في الإسلام عن الجهاد يتطوع بالجهاد.

هذا هو عمرو بن الجموح، رجل عذره الله لأنه أعرج فيقول لأبنائه : لابد أن أشهد المعركة فيقولون له : يا أبانا نحن نكفيك المعركة فيقول لا، ولابد أن أشهد المعركة، فيصر أبناؤه عليه لمنعه فيذهب إلي رسول الله صلي الله عليه وسلم فيقول له «يا رسول الله إن أبنائي يمنعوني أن أخوض المعركة» فيقول له رسول الله «إن الله قد عذرك» أي أنه ليس علي الأعمي حرج ولا علي الأعرج حرج، فيقول له «والله يا رسول الله، إني أحب أن أطأ بعرجتي هذه الجنة» فيبتسم رسول الله ويطلب من أبنائه أن يسمحوا له.

فهذا رجل معذور بحكم الإسلام والشرع، ومع ذلك استطاب الصفقة، فأحب أن ينتهز هذه الصفقة ليأخذها.. لأنه عاقل، هو سيموت حارب أم لم يحارب، فالموت لم يترك أحداً، فلماذا لا يموت بصفقة رابحة، تجعله ميتاً في نظر الناس، ولكنه حي إلي أن تقوم الساعة، حي يرزق.

فأي عقلاء هؤلاء ؟ هم الذين يوازنون في الصفقات ويستهينون بهذه الحياة وبزخارفها، حين يعيش المؤمن في جو عقائدي، وحين يتأكد أن الذي عقد الصفقة معه هو ربه الذي يصدق وعده، يجب عليه أن يتهافت علي هذا الأمر، ويجب عليه ألا يدخر وسعه وأن يعتقد أنه سيموت شهد المعركة أم لم يشهد.

القوة في الإسلام روحية ومادية

نأتى إلى قضية القوة في الإسلام.. القوة في الإسلام موضوعة لمهمة، إلا أننا في آخر عهدنا قد وجهنا المهمة وجهة أخرى، هذه الوجهة هى ما أراد أعداؤنا أن يقنعونا بها، قالوا : إن الإسلام انتشر بحد السيف فأحب المسلمون أن يردوا علي ذلك، فقالوا : لا إن الإسلام لم ينتشر بالسيف، والسيف لم يستعمل في الإسلام إلا دفاعاً عن النفس، وبعد ذلك جاء المسلمون وأعجبتهم تلك الفكرة من أن الإسلام لم ينتشر بالسيف وكأنهم ما فطنوا إلي هذه الدعوة الخبيثة.

لقد نشأ خبث هذه الدعوة من خوف خصوم الإسلام أن يحقق الإسلام المراد من وجوده في الأرض ليظهر علي الدين كله ومعنى «ليظهر على الدين كله» أن مهمته اثبات الرشد للإنسانية كلها، هم يريدون للإسلام أن يكتفى بالبقعة التي هو فيها، ولا يفكر تفكيراً طموحياً في أن ينساح ليجعل كلمة الله هى العليا فيقولون : الإسلام جاء للدفاع فقط ومادام جاء للدفاع فقط فليس له أن يتعدى سائر حدوده. تلك كلمة تبرىء الإسلام من أنه انتشر بالسيف ولكنها تعوق الإسلام عن مده الذى أراده الله له، لأن الإسلام ما جاء لينشىء أمة واحدة في الأرض، وإنما جاء ليعمم عدالة السماء في الأرض كلها، ولكنه لا يفرضها فرضاً، إذن، فمادام لا يفرضها فرضاً، فماذا يكون الموقف ؟

إنه إن فرضها فرضاً – بقوته – إن كان يملك قوة الفرض للعقائد – فإنه قد استولي علي قوالب، والإسلام لا يريد أن يستولى علي القوالب بحكم ظاهر الأشياء، ولكنه لا يحكم خفيات الأشياء، فقصارى أن تملك القالب والشكل، أن صاحب القالب والشكل يحاول ألا تراه منحرفا عن منهج الحق، فإذا ما خلا له الجو، أو إذا استطاع أن يستتر بجرمه فإنه يفعله.. لأنك لم تملك قلبه، وإنما ملكت قالبه، إذن

فقالبه هو موضوع الحساب والجزاء، لذلك وضع الحق مبدأ انسياح الإسلام، فقال «**لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي**» سورة البقرة – الآية ٢٥٦ .

مادام لا إكراه في الدين، فكيف تريد أن يمتد الإسلام إلي رقع أوسع ؟

إن الذي يمنع منطق عدالة الإسلام هو قوي الطغيان في الأرض، فالإسلام حين ينشر مبادئه ويجد قوة من قوي الطغيان تحاول عن ترد المسلم عن قول دعوته وعن الدعوه إلي الله، فلنا أن نقف أمام هذه القوة، وأن ندكها دكاً، وبعد ذلك نترك الناس أحراراً ليروا رأيهم بحرية وبمحض اختيار، فلا فرض لعقيدة، لذلك نجد الإسلام حينما فتح بلداً من البلاد، لم يحمل كل أهله علي أن يسلموا، وظل فيهم من ظل علي دينهم..

ولو أن الإسلام جاء لينتشر بالسيف، فإن معني ذلك، أن كل بلد فتحه الإسلام، كان ولابد أن يسلم أهله، ولكننا نجد كثيرا من البلاد المفتوحة ظل أهلها علي دينهم ولا حرج عليهم إذن فماذا فعل الإسلام ؟

لقد أزاح الإسلام قوي الطغيان التي تفرض علي الناس ديناً، فإذا ما أزاحها ترك الناس أحراراً يختارون ما يشاءون من الأديان وحينئذ يكون اقبالهم علي الإسلام بطواعية، لأن الذي يقبل علي مبدأ من مبادىء الإسلام باكراه سيظل في نفسه كره علي ذلك الدين الذي قهر إرادته، ومادام هناك كره علي ذلك فلن يخلص له أبداً، ومادام لا يخلص له أبداً فإن المسلمين لم يزدادوا شيئاً، والمسلمون إنما يريدون أن يزدادوا جواهر عاملة وعناصر فعالة.

إذن يجب علي المسلمين في جميع بقاع الأرض، أن يثبتوا إلي أن قواتهم التي يعدونها الآن – لتدفع فقط عنا العدو أن يغزونا في دارنا، وأظن أننا حين نقول : لتدفع فقط نكون قد وصلنا إلي منطقة من الضعف يرثي لها، فبدلاً من أن نكون مطالبين بأن ننساح بإسلامنا خارج حدودنا، إذا بنا نهاجم في ديارنا، وذلك هو الهوان، ولابد أن نبحث في أسباب ذلك الهوان.

علي المسلمين أن ينتبهوا إلي أن القوة المادية ليست هي كل شيء، فما لم تحمها قوة روحية، مستكينة لله ومعترفة بفضل الله بلا غرور ولا زهو حينئذ تكون القوة المادية مسنودة بالقوة الإيمانية والروحية وذلك لا يتأتي إلا باتحاد الصف وبوحدة الكلمة.

وإذا استقرأنا واقعنا الحديث، وجدنا أننا هزمنا مرة، ووجدنا مرة أخري بوادر النصر، بوادر النصر هذه جاءت عل مقدر إقبالنا علي الله ببعض الشعارات، أقبلنا باسم الله واقبلنا بـ «الله أكبر» شعارات وإن لم تأخذ موقعها من الواقع، وتغلغلت في حياة الناس، فلو أننا نقلنا هذه الشعارات إلي واقع يتمثل تطبيقاً لمباديء الإسلام وتطبيقاً لمنهج الإسلام لأعطانا الله علي قدر إقبالنا عليه.

ويجب أن نعلم أنا لن نكون كذلك إلا إذا وضعنا منهج الله أمامنا، وعملنا بما يقول، وانتهينا عما ينهانا، وكنا أمة واحدة وصفاً واحداً وحينذاك نستحق أن نكون جند الله ومادمنا جند الله، فإن الله يقولها كلمة صادقة، لأن الله هو الذى يقولها : **(و إن جندنا لهم الغالبون)** سورة الصافات – الآية ١٧٣.

فإذا ما رأيتم معركة بين المسلمين وبين غيرهم انهزم فيها المسلمون فإن عنصراً من عناصر جنديتنا قد تخلف، انصروا الجندية لله، وبغير ذلك لن نكون من الغالبين، فلا تقل : انني دخلت المعركة وأنا جندي لله، ومع ذلك انهزمت تقول لا، ان ربك يقول **(و إن جندنا لهم الغالبون)** سورة الصافات – الآية ١٧٣، ومادمنا لم نغلب فلابد أن تكون هناك شروط لجنديتنا لله قد تخلفت، وذلك مثل قد ضربه الله في حياة الرسول صلي الله عليه وسلم أى وهو بين صحابته في موقعة أحد – التي حدثت ولم يمر عام علي انتصار المسلمين في بدر – أراد الله أن يجعلها درساً يتلقاه المسلمون وبين أيديهم رسولهم؛ الرسول أمراً أمراً، وبعد ذلك خولف هذا الأمر، فلو أن المسلمين انتصروا في هذه المعركة مع مخالفتهم أمر رسول الله، سيقولون لقد خالفنا أوامر الرسول وانتصرنا،

ولكن ماداموا قد خالفوا الأوامر فلينهزموا حتي يتربي المسلمون ويبقي الإسلام سوياً صحيحاً، صحيح إن المسلمين – الذين تخاذلوا – انهزموا، ولكن الإسلام بمبادئه وبقيمه وبأمر مشرعه صلي الله عليه وسلم قد انتصر.

إذن، فكل هزيمه لها عنصر من مخالفة لجندية الله، نفتش في أنفسنا فنجد هذه المخالفة واضحة.. وأيضا يدعونا الإسلام ومبدأ الإيمان أن نذكر الله دائما مع إعدادنا لكل قوة، والا نغتر بقوة.

وهذا مثل – آخر ضربه الله للمسلمين في حنين : (**ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا**) سورة التوبة – الآية ٢٥. الكثرة لا تغني شيئا إن تخلي الله عنا بالنصر، ويجب ألا نزهو بالكثرة، ويجب أن نحاسب أنفسنا بعد كل معركة، لنعرف حصيلتنا الإيمانية والله يضرب المثل في ذلك فيقول :

(**وكأين من نبي قاتل معه ربيون كثير فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا**) سورة آل عمران – الآية ١٤٦.. اصابتهم هزيمة.. هل ضعفوا ؟ هل استكانوا ؟ لا، ولكنهم بحثوا في أسباب هذه الهزيمة، ولماذا اصيبوا في تلك المعركة تلك الاصابة ؟ فكروا وحللوا ليعرفوا موقع الضعف منهم في مخالفة بند من بنود الجندية لله (**وما كان قولهم إلا أن قالوا ربنا أغفر لنا ذنوبنا**) سورة آل عمران – الآية ١٤٧.. فكأنهم علموا جيداً أن سبب الهزيمة هو ارتكاب الذنوب (**ربنا أغفر لنا ذنوبنا واسرافنا في أمرنا**) سورة آل عمران – الآية ١٤٧ – غرور وكلام وشعارات بلا رصيد. (**وثبت أقدامنا وانصرنا علي القوم الكافرين**) سورة آل عمران – الآية ١٤٧.. إذن هم عادوا إلي نفوسهم ولم يعودا إلي ربهم ليقولوا له : اننا مؤمنون فكيف هزمنا ؟، بل عادوا إلي نفوسهم، لأنهم هم الذين أخلوا بشرط الإيمان في نفوسهم.

وما كان قولهم بعد أن أصابهم ما أصابهم (**ربنا أغفر لنا ذنوبنا واسرافنا في أمرنا وثبت أقدامنا وانصرنا علي القوم الكافرين**) سورة آل عمران - الآية ١٤٧- فماذا كان جواب الله لهم ؟

حينما أقروا بأنهم هزموا وأصيبوا، لأنهم أسرفوا علي نفوسهم، ولأنهم ارتكبوا ذنوباً، يكون المريض قد اعترف بدائه، ولم يحاول أن يغالط طبيبه فإن الحق سبحانه وتعالي يقول (فاستجاب لهم).

ومادام ربهم قد استحاب لهم فيكون هذا من لون الإحسان لأن معني الإحسان ليس ألا نخطيء، ولكن إذا أخطأنا فلنتنبه للخطأ.

(**وما كان قولهم إلا أن قالوا ربنا أغفر لنا ذنوبنا واسرافنا في أمرنا وثبت أقدامنا وانصرنا علي القوم الكافرين**) سورة آل عمران - الآية ١٤٧ (**فآتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخره والله يحب المحسنين**) سورة آل عمران - الآية ١٤٨. أى نصر على الكافرين وثواب الآخرة.

وحين نريد أن نعرض موقفنا اليوم عرضاً إيمانياً، يجب علينا حين نصاب بنكسة، أو نصاب بهزيمة ألا نقول : نحن مؤمنون فلماذا هزمنا ؟ بل نقول : أن شرط إيماننا قد اختلف فينا، وان عنصر الجندية لله قد اختل فينا، فإذا تنبهنا إليه ورجعنا، فإن الله يقبل التوبة، ويقبل الرجوع، ويأتي في بقية المناسبات بما يثبت ذلك.

الفصل الثانى

حتمية الحل الإسلامى

ويمضى الزمن ويظهر فساد قوانين البشر، وانها لم تجلب إلا الشقاء للبشرية... فيأخذون فى تعديلها بحجة معالجة المشكلات التى ظهرت عند التطبيق.

محمد متولى الشعراوى

ما هى قوانين المنهج الإسلامي؟.. وما هي الآثار السلبيه المترتبه علي ترك قوانين الله ومنهج الإسلام واللجوء إلي قوانين الأرض ومنهج البشر؟ وما هي الدوافع التي جعلت النظريات الدنيوية الغربية تنهار ويقتنع هؤلاء الذين نادوا بأهميتها بثبات قوانين الله ومنهجه؟.. ولماذا تكمن حلول كل المشكلات في المنهج الإسلامى ؟ أى لماذا يؤكد الحل الإسلامى أهميته حتميته ؟

اسئلة نجيب عليها فى هذا الفصل.

عندما تتحدث عن الإسلام فاننا نتحدث عن منهج الله الذى رسمه سبحانه وتعالى للحياة فى الأرض.. وهو المنهج الذى لن يُصلح الكون إلا إذا تم تطبيقه.. ذلك أنه لا يوجد من هو أعلم من الله.. وأحكم من الله.. ليرسم لنا طريق الحياة الآمنة المطمئنة.

والله هو الذى خلق الإنسان.. وليس أدرى بالشيىء من خالقه أو صانعه.. فهو الذى يضع له قانون تشغيله وقانون صيانته.. ليؤدى مهمته على أكمل وجه.. ولقد أراد الله سبحانه وتعالي برحمته ليفهمنا ذلك.. فجعل ذلك قانوناً أرضياً لا تصلح الحياة إلا به.. فإذا أخذنا التليفزيون مثلاً.. فإن أول من يضع قانون تشغليه هو الذي اخترعه.. وهو يقول لك افعل كذا واضغط علي الزر رقم كذا ليعطيك الصورة.. ورقم كذا ليعطيك الصوت.. ثم يضع قانون الصانع «الكتالوج» مع الجهاز يدرسه المتخصصون ويرجع إليه الناس إذا فسد الجهاز وأرادوا إصلاحه.. فإذا ذهبت لتحضر نجاراً أو حداداً ليصلح جهاز التليفزيون فإنه يفسده.. وإذا قلت للناس ذلك فإنهم يسخرون منك.

والعجيب أن هؤلاء الناس الذين يسخرون منك إذا فعلت ذلك بالنسبة لأي اختراع أو آلة.. فإنهم هم أنفسهم الذين يحاولون مقاومة تطبيق نفس النظرية علي

الإنسان.. فالله سبحانه وتعالي هو الذي خلق هذا الكون.. وخلق الإنسان ووضع القوانين التي تمضي بها الحياة كلها.. ولكن الناس تأتي لتحاول أن تفسد الكون بأن تضع له القوانين التي تروقها.. تماماً كما تحضر الحداد أو النجار ليصلح جهاز التليفزيون.

وهي بذلك تدعي بلا حياء أنها أعلم من الله بخلقه، وأعلم من الله بأسرار كونه.. فبدلاً من أن تأخذ قوانين الله الخالق والصانع، تحاول أن تضع هي القوانين، فتري القانون الروماني والقانون الفرنسي وغيرهما.

ويمضي الزمن ويظهر فساد قوانين البشر، وأنها لم تجلب إلا الشقاء للبشرية.. فيأخذون في تعديلها بحجة معالجة المشكلات التي ظهرت عند التطبيق.. وبعد عدة سنوات يتبين أن التعديل لم يصلح شيئا، فيتم تعديل التعديل، وهكذا تمضي القوانين البشرية فى حلقة مفرغه.. تتزايد معها المشكلات وتتفاقم معها الداءات.. ولكن أحداً لا يفكر أبداً في أن يريح البشرية فيرجع إلي قوانين الله.. لأن هذه القوانين البشرية كلها لا تصلح حياة الإنسان في الكون.. بل تفسده.

وإذا نظرنا إلي العالم اليوم نجد أنه يملؤه الشقاء، ولو استمعت إلي أي نشرة أخبار في الأذاعات أو في الصحف، لوجدت أنها تحمل من أخبار الدمار والخراب والقتل والحروب والغزو والاحتلال والتهام الدول لبعضها لدرجة أن دولة مسلمة التهمت دولة مسلمة أخري - أكثر من اخبار الخير والبركة والحياة الآمنة للناس.. والحل تطبيق قوانين الله.. وهذه ستأتي عن اختيار أو عن اضطرار.. لأنه لا طريق غيرها. ولكنها ستكون اضطرارياً بعد تجارب مريرة، وشقاء بشري يمر به العالم.

وقبل أن نبدأ في الحديث عن حتمية الحل الإسلامي **للبشرية كلها.. لابد أن** نفرق بين قوانين الأرض وقوانين الله ذلك **أن هناك فرقاً جوهرياً قد لا يتنبه إليه الكثيرون** فقوانين الأرض عند التطبيق لا **تقتضي أي نوع معين من السلوك.. ولكن قوانين الله**

تقتضي مع التطبيق سلوكاً بالعمل، ومأساة هذا العصر ليست في أن نصل إلي النص الواضح في قوانين الله، ولكن القدوة السلوكية هي القليلة، بل النادرة. وقوانين الله محتاجة إلي سلوك، وإلي قدوة وهذا ما يغيب عنا.

إن الله سبحانه وتعالي يريد من المؤمنين أن يطبقوا قوانينه.. وأن يطبقوها أولاً علي أنفسهم، فاذا لم يبدأ الإنسان بنفسه، انتفت القدوة الإيمانية التي تجعل الناس يستمعون إليه ويصدقونه.. ونحن في عصر جرب الإنسان فيه كل شيء، وكل نظريات الدنيا التي تبدو براقة.. ووجد فيها الشقاء والتعاسة، ولذلك أصبح يحن للرجوع إلي الدين ليخلصه من هذا الشقاء.. ولكن الرجوع إلي الدين تلزمه القدوة فيمن يقدمون النصيحة.. أو كما قلت أن يطبق الإنسان ما يقوله علي نفسه أولاً.. ولقد قال الرسول صلي الله عليه وسلم : «أنا لا أمركم أمراً أنا عنه بنجوى»

ومن هنا فإن أهم ما يلزمنا ليس تعليم الدين فقط.. ولكن سلوكيات الدين.. فهذه هي التي تصنع.. وهذه هى التى تبنى.. وأنا عندما يأتينى رئيس عمل ولا أراه متميزا عني إلا بالشقاء في عمله، والدقة فى حضوره.. فإذا طلب مني أي شيء فانني أقوم به عن طيب خاصر، ذلك أنني أحس أنه غير متميز عني إلا بكثرة مسئولياته «وهو في هذا يعطني القدوة السلوكية التي رسمها الإسلام.. والإسلام دين الحق.. ولقد قال أحد المستشرفين الذين اعتنقوا الإسلام : أنه آمن بهذا الدين لأن الرسول كان يكره أن يتميز علي أصحابه.. ولو أن محمداً صلي الله عليه وسلم لم يكن رسولا، وكان يأتي بهذا الدين من عنده.. لكان له هدف من ذلك.. فكل من يكذب بفعل ذلك لهدف.. والكذب في مدعي النبوة أنهم يريدون أن يسيطروا أو يحكموا أو يحصلوا علي نفع عاجل من الذين يدعونهم إلي الدين الجديد ولكن محمداً صلي الله عليه وسلم كان قدوة سلوكية فلم يكن يبغي السيطرة.. بل كان يقول دائماً : انه بشر رسول.. ولقد عرضوا

علي رسول الله – صلي الله عليه وسلم – في أول الأمر وبدون جهد أو تعب أن يعطوه من المال ما يريد، فلما رفض عرضوا عليه الملك إن أراد.. فلما رفض عرضوا عليه الزعامة والعزوه والجاه والسلطان وكل ما تستطيع الدنيا أن تهبه.. كل هذا وهو في أول الطريق.. ولكنه رفض هذا كله.. ورسول الله – صلي الله عليه وسلم – رفض بعد أن انتصر الإسلام وانتشر في الجزيرة العربية وثبت أقدامه رفض أن يحصل علي ميزة شخصية.. فلا هو بني لنفسه قصراً، بل ظل يعيش فى بيته.. ولا هو أنشأ لنفسه حرساً مصداقاً لقول الله سبحانه وتعالى : **«والله يعصمك من الناس»** سورة المائدة – الآية٦٧

ولا هو ملأ بيته بالولائم وفاخر الطعام.. بل كان كما قالت السيدة عائشة رضي الله عنها.. تمر الأيام ولا توقد في بيتنا نار.. فكان يعيش علي التمر والماء.. ولا هو حقق لزوجاته ثروة من مال الدنيا، بل منع عنهن الغنائم دون سائر نساء المسلمين.. ولا هو ترك ثروة لذريته بل قال : (لا لنفسى.. ولا لذريتى.. نحن معشر الأنبياء لا نورث.. وما تركناه صدقه).

وينهي المستشرق حديثه.. بأن رجلاً هذا خلقه لابد أن يكون صادق الرسالة.. ورسول الله الحق الأمين.

وإذا كانت البشرية تعاني فإنها لابد أن تعود مضطره ومقهورة إلي قوانين الله في الأرض إذا أرادت إصلاحاً.. وفي ذلك تستطيع أن تضرب الأمثلة التي بدأت تتحقق.

أول هذه الأمثلة هو الطلاق.. والله سبحانه وتعالي أباح الطلاق.. لأن الحياة لا تستقيم إلا به.. وجاءت الكنيسة الكاثوليكيه تحرم الطلاق، وتدافع عن ذلك بأنه حفظ لكيان الأسرة إلي آخر ما قيل ويقال.. ومضت السنوات وتفاقمت المشكلات، وبدلاً من أن يحفظ عدم الطلاق الأسرة هدمها.. وانحرف الزوج.. وانحرفت الزوجة وضاع الأولاد واضطرت الكنيسة الكاثولويكيه مرغمه أن تبيح الطلاق.. لم يحدث ذلك اقتناعاً بالدين الإسلامي ولا إيمانا بقوانين الله.. ولكن حدث لأن الحياة لا تستقيم بدونه.

والمثل الثانى مسألة أن ترضع الأم طفلها.. حكم من الله سبحانه وتعالى أن تكون الرضاعه مدة عامين، مصداقا لقوله سبحانه :

«والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين» سورة البقرة – الآية ٢٣٣

وجاءت المجتمعات غير الإسلامية لتقدم نوعاً من اللبن للأطفال يعطى لهم بعد أسابيع من الولادة.. وقالت : إن هذا اللبن يعطي الطفل من العناصر الغذائية مالا يعطيه له لبن الأم.. وصدق الناس هذه النظريات، واندفعوا بلا وعى وراء ألبان الأطفال التي تبيعها الصيدليات.. ومضى الزمن، وهذا الوهم الكبير يسيطر على العالم.. إلى أن اكتشفوا أخيراً الأضرار الهائلة التي تحدث للطفل الذي لم يرضع من لبن أمه.. ومن نفس المكان انطلقت صيحة جديدة منددة هذه المرة بهذه الألبان التي تعطي للأطفال.

انطلقت الصيحة هذه الأيام لتقول : ان الطفل الذي لا يرضع من لبن أمه ينشأ عليل الجسد عليل النفس.. وأن الأم لابد أن ترضع طفلها إذا كانت تريد أن ينشأ ابنها نشأة طبيعية.

وهكذا عادت المجتمعات الغربية التي تبهر بعض الناس بما يسمونه التطور العلمي.. عادت هذه المجتمعات إلي قانون من قوانين الله، وأن الأم لابد أن ترضع طفلها.. عادت إلي قول الله سبحانه وتعالي :

«والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين» سورة البقرة – الآية ٢٣٣

هل عادت بالإيمان ؟.. هل عادت لأنها آمنت بالإسلام ؟.. لا.. لكنها عادت، لأن الكون لا يصلح إلا بقوانين الله.

والمثال الثالث هو عقوبة القتل.. والله سبحانه وتعالى قد شرع هذه العقوبة، جزاء لقتل النفس البشرية والفساد فى الأرض.. فقال سبحانه وتعالي :

«إنما جزاؤا الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فساداً أن يُقتلوا أو يُصلبوا، أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف» سورة المائدة - الآية ٣٣

وجاءت بعض المجتمعات الأوربية وألغت عقوبة الإعدام.. ومن هذه الدول: بريطانيا وإيطاليا.. ومرت السنوات، وإذا بالجريمة تنتشر في هذه المجتمعات انتشارا مروعا، حتي ازداد معدلها بنسب كبيرة، وإذا بنفس هذه الحكومات - التى قالت بأن ذلك مدنية - تطالب مرة أخرى بعودة عقوبة الإعدام كحل ضرورى لمواجهة زيادة الجرائم وبخاصة جرائم القتل والتخريب.

والمثال الرابع فى الربا.. ونظرة واحدة إلي الاقتصاد العالمى الآن ترينا ماذا فعل الربا.. فقد وقعت كل دول العالم في الديون.. الدول الغنية والدول الفقيرة.. وفي كل يوم يزداد الأغنياء غني ويزداد الفقراء فقراً، اختل الميزان الاقتصادى للعالم كله، واجتمع خبراء الاقتصاد في العالم وقالوا إنه لا حل للمشكلة الاقتصادية.. إلا أن يصبح سعر الفائدة فى العالم صفرا.. ولو أنهم كانوا منصفين لقالوا: انه لا حل للمشاكل الاقتصادية في العالم والربا موجود.. ولكن كلمة الحق لم تكن تخرج من أفواههم فقالوا سعر الفائدة لابد أن يساوى صفرا.

وعلى آية حال.. فلن يعتدل النظام الاقتصادى في العالم مادام التعامل يتم بالربا.. فإذا انهي التعامل بالربا انصلح اقتصاد العالم.. تلك القضية التي لابد أن نفهمها.. ان العالم كله لابد أن يعود إلى القوانين التى شرعها الله للحياة علي الأرض حتى تستقيم الأمور.. فان لم يعد باختيار وإيمان.. فسيعود مضطرا بعد تجربة مريرة تعانى منها البشرية الويل.. وفى هذا يقول الله سبحانه وتعالى **«هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره علي الدين كله»** سورة التوبة - الآية ٣٣.

أى أن منهاج الإسلام ومبادئه ستسود العالم كله ولن تستقيم الحياة بدونها.

أعطانا الله سبحانه وتعالى هذا المنهاج هدية من عنده.. وبين لنا الطريق فى رحمات تنزلت علينا.. وهو يريد بذلك أن يقينا سوء التجربة والخطأ التى سنمر بها.. ثم بعد ذلك نعود إلى منهج الله.. ولكننا رفضنا هذه النعمة وبدأنا نبحث عن المدنية.. التي هي في الحقيقة تحاول أن تهاجم الإسلام وتظهره بمظهر الرجعية والوحشية.. وفى ذلك يتحدثون عن عقوبة قطع يد السارق وكيف أنها وحشية.. وينسي هؤلاء أنه فى كل صباح في العالم تقطع مئات الأيدي والأرجل في الحروب الصغيرة التي أصبحت تدور فى كل مكان.. وفي حوادث الخطف والنهب والاعتداء علي الأعراض التي زادت بنسب هائلة في كل أنحاء العالم.. ان الأيدى التي كانت تقطع في لبنان وحدها كل صباح، أكثر من الأيدي التي قطعت كقصاص من عهد رسول الله صلي الله عليه وسلم إلى يومنا هذا.. فأين هذه الوحشية ؟ ومن هم المتوحشون ؟ ومن هم المتمدينون؟

على أن لله سبحانه وتعالى فى كونه آيات كثيرة تظهر إعجاز الله.. ونحن لا نفهمها.. فقوانين الكون.. وقوي الكون التى تحارب هذا الدين إنما تظهر الحق فيه.. وذلك أن الجمال فى الكون هو أن يوجد الشر بجانب الخير.. وأن نرى الحق ينتصر علي الباطل.. فالله سبحانه وتعالى حين وضع قوانين كونه.. وضعها بحكمة ودقة.. ليسير الكون إلى غايته فالله سبحانه وتعالي جعل لكل مجد نصيبا ليكون هناك العمل.. لو أن الطالب الذي يذاكر نجح.. والطالب الذى لم يذاكر نجح.. لأختفى الجمال في الكون.. لأنه في هذه الحالة لن يذاكر أحد، وسيصبح الناس أميين وتنتهى حضارة البشرية التي أرادها الله للإنسان ولكن الجمال في الكون هو أن يرسب الذى لا يذاكر، وينجح الذي يذاكر وأن يتم كشف أسرار الكون للعالم الذى يبحث عنها، ولا يتم لمن لا يبحث.. وأن يعرف الذي يدرس أكثر من الذي لا يقرأ.. تلك أسباب وضعها الله سبحانه وتعالى ليرقى الكون المخلوق إلى الحضارة التي خلقها الله.. ولو أعطي الله سبحانه وتعالي الحضارة للإنسان بدون علم لحطم نفسه وانتهي الكون.. ولو أعطاه علما بدون حضارة لأحس الإنسان تفاهة قيمة العلم.. ولكن الاثنين يكمل بعضهما بعضاً.

والإسلام قبل كل شيء هو سلوك.. والإنسان المسلم يجب أن يسلك سلوك الإسلام.. ولكن القليل من الذين يفعلون ذلك.. ولو أنهم فعلوه لأحسوا عظمة هذا الدين وما يقدمه من سلوك طيب ومنهج كريم.

في هذا الكون شيئان.. شيء يفعل لك.. وشيء ينفعل بك.. فالشيء الذي يفعل لك يستوى فيه الناس جميعاً.. كافر ومسلم.. فالشمس مثلا تفعل لك.. فهي تشرق كل صباح، ولا تخص بنورها كافراً أو مسلماً.. أو شاكراً لله وجاحداً لنعمته.. كلهم سواء.. عطاء الشمس للجميع بلا تفرقة.. والهواء مثلاً تتنفسه كل الكائنات الحية بدون أى تفرقه.. والماء تشربه كل الكائنات الحية بصرف النظر عن دين أو عقيدة.

هذه الأشياء تفعل كثيرا.. الشمس تعطينا النور والطاقة وأسباب الحياة إلي آخر ذلك.. والهواء يعطينا أسباب الأستمرار في الحياة.. والماء يعطينا الحياة نفسها **«وجعلنا من الماء كل شيء حي»** سورة الأنبياء – الآية ٣٠.

كل هذه الأشياء تفعل لك وهي تفعل بلا تمييز، لأنها عطاء من رب العالمين.. فهي عطاء ربوبية.. ولقد شاء الله سبحانه وتعالي أن يمنح عطاء ربوبيته للجميع.. لأنه رب الجميع.. رب العالمين.. ومادام هو الرب الذي استدعاك للوجود.. وجاء بك إلي هذه الحياة، فهو يكفل لك بنعمه أسباب الاستمرار في الحياة.

نأتى بعد ذلك إلي الأشياء التى تنفعل بك.. وارتقاء الإنسان فى الكون يتم فيما ينفعل به.. ولا فيما ينفعل له.. وما ينفعل بك ان فعلت ينفعل.. فإذا حرثت الأرض حرثاً جيداً ثم وضعت فيها البذره.. ثم واظبت على رعايتها أعطتك ثمرا جيداً ومحصولاً وفيرا.. وإن بحثت فى باطن الأرض وجدت البترول والمعادن تعطيها لك الأرض.. لأنك فعلت فهى تنفعل بك.. وفى هذا لابد أن نتنبه إلى قول الله سبحانه وتعالى :

«له ما فى السموات وما فى الأرض وما بينهما وما تحت الثرى» سورة طه – الآية ٦.

ذلك أن هذه الآية نزلت منذ أربعة عشر قرناً.. ولم يكن أحد فى ذلك يعرف ما تحت الثرى سوى أبار المياه التى يحفرها الناس فأخذت على هذا المعنى.. ثم تقدم العلم ليكتشف لنا أن فى باطن الأرض كنوزاً تزيد على ما فوق سطح الأرض فتنبهنا إلى قوله تعالى (وما تحت الثرى).. وعرفنا أن الله سبحانها وتعالى قد أنبأنا فى قرآنه الكريم منذ أربعة عشر قرناً أن هناك كنوزاً في باطن الأرض.. ولو تنبهنا إلى هذه الآية لبحثنا عن هذه الكنوز.. ولكن وقت أن نزل القرآن لم يكن قد جاء موعد ميلاد ما تحت الثرى.. والمؤمن الذى يترك المعدن فى باطن الأرض ولا يبحث عنه لا يخرج المعدن له.. ولقد جعل الله ما على الأرض زينة بها.. مصداقاً لقوله تعالى

«إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها» سورة الكهف – الآية ٧

ليجتذب الإنسان إلى العمل.. والزينة هى ما يخلع على ذاتيات الأشياء ليجعلها أكثر جاذبية، فالمرأة مثلاً تتزين لتصبح أكثر جاذبية للرجل.. وزينة الأرض هى أن تصبح أكثر جاذبية للإنسان على أن يعمل.. فكأن الله جعل ما على الأرض زينة لها ليجذب الإنسان إليها.. ويقول الله – سبحانه وتعالى –:

«هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها» سورة هود – الآية ٦١

معنى استعمركم، أى طلب منكم عمارتها.. وذلك لا يأتى إلا بأمرين : أن تبقى الصالح على صلاحه لا تفسده.. وأن تصلح الفاسد وتزيد إصلاحه.. وزينة الله على الأرض من أثرين.. آثار خلق الله.. وهى الطبيعة التى وهبها الله لنا دون أن يكون لنا جهد فيها.. وآثار ما فعله الإنسان بما علمه الله له ليزين به الأرض.

حتمية الحل الإسلامى

هنا نأتى إلى حتمية الحل الإسلامى.. وهذا يظهر فى قول الله سبحانه وتعالى :

«ويسألونك عن ذى القرنين، قل سأتلو عليكم منه ذكراً * إنا مكنا له فى الأرض وآتيناه من كل شيىء سببا * فأتبع سببا» سورة الكهف – الآية ٨٣، ٨٤، ٨٥.

ومعنى ذلك أن الله أعطى لذى القرنين أسباب القوة والحكم فى الأرض.. ولكنه لم يقتصر على ما أوتى.. لم يقف على ما فُعل له.. بل اتبع سببا.. أى أخذ الأسباب فيما ينفعل به.. ولقد أورد الله هذه الآية الكريمة ليرينا الأسلوب الصحيح فى مواجهة الحياة.. ذلك أن الإنسان يجب ألا يكتفى بما ينفعل له ولا يفعل شيئا.. بل يجب أن يأخذ هذا العطاء ويعمل من أجل أن يضيف إليه.. وأن يتفاعل مع العناصر التى خلقها الله لتنفعل بعمل الإنسان فى الأرض وذلك مصداقا للحديث الشريف «لا خير فيمن لا يضيف».. والاضافة بمعناها العام.. أنك إن عملت للكون، يكون فى خدمتك ليعطيك الخير الكثير.. فلابد أن تعطى عطاء الكون، وإلا أصبحت الحياة جامدة وغير متحركة ولا متطوره.

ويتوقف تطور البشرية ونموها.. أى أن الله سبحانه وتعالى يطلب من الإنسان أن يتفاعل مع بيئته ومع الكون.. وينهانا أن نقف أمام قطعة من الأرض ولا نفعل شيئاً.. بل لابد للإنسان أن يعرف ويدرس كيف يحرث هذه الأرض وما هى النباتات الصالحه لها ليحصل على أحسن النتائج.

ومن هنا نصل إلى أن العالم لكى يتقدم ويعيش فى سلام وأمان.. لابد أن يتبع القوانين التى وضعها الله سبحانه وتعالى فى هذا الكون.. وهذه القوانين متكاملة، بمعنى أنك لا تستطيع أن تأخذ من هذه القوانين ما يعجبك وتترك منها مالا يعجبك.. فأنت فى هذه الحياة لابد أن تتعامل مع أسباب الأرض التى تنفعل بك، لأن فيها الرقى فى الحياة.. وهذه توفر لك التقدم والرفاهية.. وأن تتعامل مع منهج الله فى الأرض، وهذا يوفر لك الحياة المطمئنة ويوفر لك الأمن والأمان.. ويعالج داءات الحياة والمجتمع التى هى

آفة البشرية كلها.. فلا تحسب أن الغنى والمال وحده يستطيع أن يعطيك الاتزان فى الحياة.. وإن كنت في شك من ذلك فابحث عن الشواهد.. ستجد أن أعلى نسبة للانتحار والجنون موجودة فى الدول المتقدمة مادياً، تلك التى تحسب أنت أن شعوبها أكثر الشعوب سعادة فى الأرض.. فالسويد والولايات المتحدة مثلاً.. فيهما أعلى نسبة من الدخل للفرد.. وفيهما أيضاً أعلى نسبة من الجنون والانتحار.. ذلك لأن الحياة هناك فقدت اتزانها.. أخذت عنصر التفاعل مع مواد الأرض فتقدمت.. وتركت عنصر الميزان الذى وضعه الله لتأمين الحياة فى الأرض فإختلت الحياة فيها.. ولم تعد هى القادره على تكوين المجتمع الآمن المطمئن الذى وضع الله قوانينه للحياه الدنيا.

ثم بعد ذلك بعدت هذه الدول عن منهج العبادة الذى هو الأساس الذى يعطى للنفس البشرية مقوماتها الروحية.. فالإنسان إذا آمن بالآخرة وعمل لها ملأت نفسه السكينة.. وأحس أن هناك حساباً فحاسب نفسه قبل أن يحاسبه الله.. فلا يقدم على مال حرام ولا يخون الأمانة.. ويعمل فى سبيل الرزق وهو يعلم أن رزقه سيأتيه.. والعمل الذى يقدمه الإنسان فى سبيل رزقه هو نوع من العبادة، لأننا نطيع قوانين الله فى الأرض.. ورسول الله صلى الله عليه وسلم حين وجد رجلاً معتكفا فى المسجد يصلى ليل نهار.. سأل من يكفله.. فقيل يا رسول الله الذى يكفله اخوته.. فقال صلى الله عليه وسلم : كلهم أعبد منه.

وفى نهاية حديثنا عن حتمية الحل الإسلامى نقول أن الله سبحانه وتعالى قد رسم الحياة الطيبة الآمنة لعباده وحددها لهم.. وأن هؤلاء العباد بدلاً من أن يأخذوا هذه الأسس ويطبقونها تطبيقا عملياً وسلوكياً.. ابتعدوا عنها إلى قوانين البشر التى أساسها عدم العدل وهوى النفس.. فعمّ الشقاء فى الكون.

ومهما طال الزمن فإن البشر سيعودون إلى قوانين الله.. ولكنهم سيعودون إليها مضطرين بعد أن تطحنهم المشكلات والآلام.. سيعودون إليها لأنها الطريق الوحيد لتخليص الإنسانية من الشقاء الذى صنعه البشر لأنفسهم.. والله سبحانه وتعالى برحمته أراد أن يجنب عباده هذا الشقاء.. فأنزل عليهم من السماء كتابا يهديهم إلى الطريق السوى.. ولكنهم بغرورهم البشرى أعرضوا عنه، واختاروا الطريق الذى وسوس لهم به الشيطان.

على أن الله سبحانه وتعالى قبل أن ينزل آدم إلى الأرض ليباشر مهمته عليها قد أدخله التجربة.. عله يستفيد ويعرف أين الحق وأين الخطأ.. وبين له بتجربة عملية ما هو الطيب وما هو الخبيث حتى يتجنب الخطأ فى الدنيا، ويعرف أن الشيطان عدو له.. ولكن الإنسان بما أعطاه الله من اختيار ابتعد عن الطيب واختار الخبيث.

الفصل الثالث

احكام المنهج الإسلامى فى قضية الكويت

الإسلام لا يحمى فقير الاحتراف، الإسلام يحمى فقير العجز الذى لا يقدر على العمل، جعل الإسلام له حق.

محمد متولى الشعراوى

احتل العراق الكويت.. دولة مسلمة غزت دولة آمنة مسلمة.. ما احكام المنهج الإسلامى فى قضية احتلال الكويت ؟ .. وما حكم استعانة المسلمين بالجيوش الأجنبية والقوات الدولية للدفاع عن المقدسات الإسلامية وحمايتها ؟ .. تساؤلات نجيب عليها فى هذا الفصل الذى نختتمه بضرورة اللجوء إلى الله سبحانه وتعالى فهو طريق الخلاص ثم نورد نص البرقية المرسلة إلى صدام حسين.

ما قام به صدام حسين وجيشه عندما احتل الكويت وهدد أمنها وانتهك حرماتها شيىء مؤسف حقاً ولكنه يدل على صحة قضية الإسلام التى غابت عن هذه الأمة ولابد أن ينشأ عن هذا الغياب مثل هذه الأزمات فلعل هذا الحديث يوقظنا وينبهنا من غفلتنا.

الذى حدث فيه ادعاءات كثيرة.. والحق أن بعض المفكرين يتهيبون الحديث فى هذا الموضوع.. لأن صاحب الرأى الحق قد يغضب واحداً من المتنازعين فيصبح عدواً له.. والدول تربطها روابط ببعضها البعض فوق هذه المسائل، فقد يوجد خلاف بين دولتين ثم تقتضى الظروف بأن يتفقا، وحين يتفق الطرفان لا يبقى عدو إلا صاحب الرأى الحر.

إن الذى يجب أن ننتبه إليه أن الإسلام مردود إليه قهرناً عنا لأن كل واحد مما يدعى باطلاً يتمسح فى الإسلام وحسبك من شرف الحق أن يدعيه المبطل.. الأمر الذى حدث الأسف فيه ليس فى أنه حدث ولكن لمواقفنا من الذى حدث.

لأن الله تعالى حينما قال : **«وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التى تبغى حتى تفىء إلى أمر الله فأن فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل واقسطوا إن الله يحب المقسطين»** سورة الحجرات – الآية ٩ .. أجاز أن يختلف المؤمن مع المؤمن وأنه قدر العواطف البشرية وقت الظروف الخاصة فلم يشأ أن يكتب..

ممكن نختلف ولكن إذا اختلف الاثنان لم ينزع الله عنهم لفظ الإيمان.. ولكن المطلوب أن توجد طائفة ثالثة.. هذه الطائفة هى التي يجب أن يكون عندها العلاج.

وإذا كان الخلاف قد نشأ بين العراق والكويت كان المفروض أن طائفة ثالثة تقف موقفاً له مراحله، مرحلة صلح أولاً، ثم مرحلة من تأبى على الصلح بأن بغى، تكون الفئة الثالثة ضده بقتال فإذا ما انتهينا بالقتال إلى أن أنهزم الطرف الباغى، الإسلام يطلب منا ألا نجعل من هزيمته سبباً فى أن نسيطر عليه ونكبته بل نرجعه إلى الصلح مرة أخرى حتى يتم تصفية المسائل الخلافية تصفية عادلة، لأن الذى بغى كانت له شراسة القوة والمجنى عليه كان ضعيفاً، والفئة الثالثة دخلت لتوقف الفئة الباغية عن هذا البغى، لا لتتخذها عدوا وعندما تهدأ شراسة البغى ويقوى الضعيف لابد من الصلح بينهما. والعجيب أن الفئة الثالثة لم نجدها لأنها اختلفت على نفسها، بعضها تحيز، وبعضها امتنع، وبعضها تحفظ، وبعضها لم يحضر، فبقيت من الفئة الثالثة فئة أسأل الله أن يجلى على يديها الحق لتقف الموقف الإيمانى.

لقد رأينا من مصر، موقفاً – أنا أعتقد غير مجامل لأحد – إنه موقف إيمانى حقيقى وكذلك الدول التى أيدتها.

الأمر الذى يجب أن ننتبه إليه أنهم أدخلوا الإسلام ليبرروا به أشياء تخدم أهدافاً وأهواء بعيدة عن قضية الإسلام.

اننا لا نريد أن ندخل فى مسألة السؤال، من الذى ينادى الآن بالإسلام، هل دين الإسلام اعتداء ؟!.. هل كانوا على منطق الإسلام ومنهج الإسلام فى شيىء من الأشياء ؟ فإن كانوا قد أثاروا هذه المسألة وهى أم المسائل كلها، لا يختلف أحد فى أن العراق اعتدت على الكويت، ولا يختلف أحد أن ذلك ضد الحاكمين والأسرة الحاكمة، وضد الشعوب نفسها، ضد الشعب لأن كون أحد يأتى من الخارج لكى يخلصنى من

حاكم أنا كنت مرتضيه ولم أناهضه ولم أخرج عليه، هذا يعطى سفها للشعوب فى أنها رضيت بباطل لم يرفعه إلا غيرها، وهذه حاجة الشعوب. يصح أنها هى التى تقف، وليس الحاكم، لأن الحاكم يتغير كل ساعة، إنما هذا سفه من الشعوب فى أنها تظل ساكته على ظلم أو على بغى إلى أن يأتى أحد من الخارج ليخلصها من هذا الباطل.

إذن المسألة لم تكن مسألة أسر، فإذا قيل أن الحق سبحانه وتعالى حينما افترض أن يوجد خلاف بين مؤمنين افترض الفئة الثالثة والخطر ليس فى أن يكون الخلاف بين فئتين، الخطر فى أن تغيب الفئة الثالثة.

هنا كل مؤمن بالله يتمسك بالإسلام، حتى الذين اعتدوا يتمسكون بالإسلام وبعد ذلك يقال له من الذى دعاك أن تتمسك بالإسلام، لاشك أن رأيت صحوة إسلامية وغبطة حتى من غير المسلم، هو يريد أن يدخل من الغبطة من غير المسلم لكى يوجد تواجد ضد منطقة إسلامية وهذه النقطة التى يمسكها علينا.. نقول أننا نبحث فى المسائل، الإسلام جاء لا ليهدم ما سبق كله ولكن ليهدم الباطل فيما سبق الجاهلية، لكن الشيىء والحق والصح فى الجاهلية أقره، لأن الإسلام جاء ليوافق الحق أقره على جاهليته.

حكم الإسلام فى الاستعانة بغير المسلم

وعند النظر فى الاستعانة بغير المسلم يكون حجتنا رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وتصرفاته، فرسول الله هو الداعى إلى الله والمبلغ لمنهجه، هو أول واحد ينفذ حينما هاجر إلى الطائف ليلتمس نصيبه ثم عاد إلى مكة، أوجد أحداً يجيره ؟ لم يجد أحداً، فاستجار بكافر وهو المطعم بن عدى وأجاره المطعم ووقف موقف الرجولة الإنسانية، ولم يعتد عليه، ولذلك قال له خصوم رسول الله : أنت مجير له أم تابع ؟ قال : أنا مجير.. قالوا : رضينا بجوارك ولن نعتدى عليك، إذن فرسول الله حين اضطرته الظروف دخل فى جوار كافر.

وعندما لم تكن عند رسول - صلى الله عليه وسلم - عدة للقتال استعان بصفوان ابن أمية الكافر.

وحينما أراد أن يهاجر استعان بدليل يدله على الطريق وهو ابن قريقط الكافر أيضا.

إذن تقدير المسألة تقدير موقفى، فلو أن الطائفة الثالثة قامت ولم تحوجنا إلى دولة من الدول كان خيراً لكى ترد الظالم على ظلمه والباغى على بغيه.

والذين يشجبون تدخل الدول الأجنبية والاستعانة بها ويقولون أنه لا يحق الاستعانة بدول كافرة - كما يقولون - سوف نناقش الأمر معهم من الزاوية السياسية ونقول لهم : أنتم الآن تشجبون أى تدخل من دولة أجنبية فى مسألة إسلامية.. ولكن ما الذى دفع المسلمين إلى الاستعانة بتدخل الدول الأجنبية.. لقد جاء هذا التدخل من أننا المسلمين ارتبطنا مع العالم الخارجى غير المسلم فى منظمات دولية لها قوانين تحكمها، لذلك يجيىء الشجب والرفض لا معنى له لأن الذين يرفضون الآن، لماذا لم يرفضوا الانضمام إلى عضوية هذه المنظمات، ولماذا قبلوا وأقروا أننا جميعاً أعضاء فيها وارتضوا احكامها وأهدافها، فهذه المنظمات تقف بجانب المظلوم حتى يحصل على حقه.

رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أدى هذا الحق قديماً حينما قال : لقد شاهدت فى دار عبد الله بن جدعان حِلْف الفضول، شاركت فى حِلْف الفضول - وحِلْف الفضول جماعة بعد ما شقت الجزيرة العربية بحرف الفجار وقف الفضيل محمد بن عبد المطلب وهو عم الرسول - صلوات الله وسلامه عليه - وساعدته هاشم وبنو زهره وبنو أسعد على العهد لنصرة المظلوم حتى يرد إليه حقه.. وقال رسول الله قولته التى تضع الحق فى نصابه لقد شاهدت فى دار بن جدعان حلفاً ما يسرنى به حمر النعم ولو دعيت إليه فى الإسلام لأجبت إذن رسول الله أقر فعلاً هذا الفعل وهو أن يتجمع

الناس على الظالم ويقفوا مع المظلوم حتى يردوا إليه حقه – ورسول الله لم يستعن فقط – فإذا انتصر جمعوا نصيباً من ماله للذى ساعده ولو كان كافرا.

رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فى أسرى بدر جاء له ابن مطعم بن عدى الذى أجار رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وكانت له دالة بسبب موقف أبيه مع رسول الله فذهب ليستشفع فى أن يطلق أسرى بدر من الكفار، فماذا قال الرسول – صلى الله عليه وسلم – ؟ قال له : لو كان ابو صهر بن جدعان أو مطعم بن عدى – أبو الذى يستشفع – حياً فاستوهبهم لوهبته إياهم، إذاً الذين يتشدقون بالإسلام بأن هذه المسألة ضد الإسلام، نقول لهم راجعوا النفس، ان كنت شجبت أولاً أن يوجد اتحاد بيننا مع هذه الدول فى أن أى مظلوم نقف معه إلى أن نأخذ له حقه كان من حقك الشجب والرفض ولكنك وافقت على المبدأ.

رفع صدام حسين – من بين ما رفع من شعارات – قوله أنه ارتكب عدوانه على الكويت من أجل إعادة توزيع ثروات الوطن العربى بعداله.. نقول له : ليس هذا هو المبرر الوحيد الذى يمنحك الحق فى الاعتداء على دولة مسلمة.. ثم أن صدام حسين كل يوم يخرج علينا بمبرر جديد لما فعل وهذا يدل على اضطراب فى مبرراته، كل يوم له مبرر.. أول مبرر، قال اننى اساند حكومة وطنية قامت بانقلاب ودبر هو نفسه حكومة من عنده، ثم قال : أنا لى حق تارخى فى الكويت، ثم جاء بحكاية توزيع الثروات، نقول لصدام : إن كان لك حق تاريخى – كما تقول – مع ايران وظلت الحرب بينكما ٨ سنوات، وانفق فيها ما أنفق، وأهدر فيها ما أهدر، ثم تنازلت عن كل هذا، وهذا هو الأمل الوحيد الذى يجعلنا نشعر بالتفاؤل وكما تركت الحق المشروع لك – كما قلت فى ايران – عليك أن تترك الحق المدعى وليس الحق المشروع فى الكويت خاصة أنك تقوم أنك تنتسب إلى أهل بيت رسول الله !!.

وموضوع توزيع الثروات.. أنت تريد توزيع الثروة الحديثة وهى البترول.. دعنى أسألك سؤالاً.. ماذا صنعت أنت بثروة البترول فى أمة الإسلام.. وهل قمت بتوزيع ثرواتك البترولية على المسلمين المحتاجين إليها ؟ لو كنت بدأت بنفسك كان يصبح لك حق فى أن تنادى بتوزيع الثروات أو إعادة توزيع الثروات.

هذه الثروات لأهل المنطقة.. ثروة الكويت للكويت.. هل اشتكى أحد من أهل الكويت.. أم أنهم كانوا يعيشون عيشة تحسدهم عليها، عيشة ترف واطمئنان.. إذن لم يشتك أحد لصدام ومسألة الثروات تعنى فى الواقع أنها فكرة حقد، لأن الله سبحانه وتعالى جعل لكل مكانا رزقا قبل أن يخلق الخلق، نحن أخذنا مياه النيل وكانت الكويت والسعودية صحراء، كنا عندما نذهب إلى السعودية نأخذ معنا كل شيىء من ابرة الخياطة إلى الطعام والمأكولات والأن أصبحنا نأتى بمترفات حياتنا من هناك.

من هنا يتضح أن الذى كان مترفاً فى الماضى والذى كان فى شطف فى الماضى لم يطلب توزيع الثروة ! لم يحدث؛ لأن الله سبحانه وتعالى جعل له موسم فى الحياة.

وإذا نظرنا إلى الواقع نجد أن موضوع توزيع الثروات مسألة حقدية.

وإذا نظرنا إلى الإسلام نجد أنه لا يحمى فقير الاحتراف، الإسلام يحمى فقير العجز الذى لا يقدر على العمل، جعل الإسلام له حق، إذا لم يحصل عليه من الناس، الدولة تأخذ له هذا الحق منهم، وإذا كان صدام يقول أنه اغتصب الكويت من أجل عدالة المجتمع، فقد اخذوا خير الشعوب وامتصوا دمها وعاشوا فى ترف، وعندما تسألهم، يقولون لابد أن نعيش فى ترف حتى نستطيع أن نفكر للناس الفقراء ولذلك عندما سئلت عن الشيوعية وأنا فى بروكسل قلت : إن الشيوعية تلصص إلى ثراء يحرسه غباء الفقراء!! كل دعوه من هذه الدعاوى صاحبها هو الذى يكون وليس الناس.

إذن العدالة الاجتماعية فى الإسلام.. كل قادر يعمل على قدر طاقته، لا على قدر حاجته، فيأخذ حاجته ويترك الباقى لمن لا يقدر.

اللجوء إلى الله.. طريق الخلاص

إن طريق الخلاص من هذه الأزمة التى ألمت بالأمة العربية والأمة الإسلامية، أن نلجأ إلى الله جميعاً بصدق، لأن ربنا أعطانا مذهباً قال **«وإذا مس الإنسان الضر دعانا لجنبه أو قاعدا أو قائما»** سورة يونس – الآية ١٢ .. ونعوذ بالله عندما يُكشف عنا الضر إلا نعود إلى الله، قال **«فلولا إذ جاءهم بأسنا تضرعوا»** سورة الانعام – الآية ٤٣ .. يجب أن تعرف أن الإنسان ليس له من دون الله كاشف ويلجأ إلا الله.

ربنا أعطانا فى أصل الحياة – وهى المياه عندما تجف عنا – أن نتضرع إلى الله نستسقى.. وإذا كنا بهذه المحنه علينا أن نتضرع إلى الله، ومع ذلك نصنع أسبابنا ولا تفهم أن الأسباب هى التى ستعطينا بل لابد من معونة المسبب.

برقية الشيخ الشعراوى إلى
صدام حسين
بعد احتلاله الكويت
وقبل بداية عملية تحريرها

بعث فضيلة الشيخ محمدمتولى الشعراوى ببرقية إلى الرئيس العراقى صدام حسين بمناسبة انعقاد المؤتمر الإسلامى العالمى الذى عقدته رابطة العالم الإسلامى بمكة المكرمة.

«الأخ صدام حسين رئيس الجمهورية العراقية

السلام عليكم ورحمة الله وبعد

فلا أزال أطمع منك فى خير وكما تنازلت عن حقك فى إيران أدعو الله أن تتسامى وتتنازل عن غير حقك فى الكويت.

وأنا لا أرد عليك نسبتك إلى البيت النبوى فالمؤمنون مأمونون على أنسابهم، ولكن الأخيار من سلاله الأطهار يصعدون الخير ولا يصعدون الشر، فأخوة يوسف بدأوها بقولهم (اقتلوا يوسف) ثم انتهوا إلى (وألقوه فى غيابة الجب) وتمنوا مع ذلك التخفيف بأن ينجيه أحد السياره، وبذلك تدللون لمن يشك فى ذلك صدق نسبكم.

والله أسأل أن يجنب بموقفك العالم كله شر ما يحتمل ومالا يحتمل.

محمد متولى الشعراوى

---

* لو تجاوب صدام حسين مع برقية الشيخ الشعراوى ونداء المسلمين له من كل مكان لجنب المنطقة الخراب والدمار والخسائر المالية الفادحة وحمى نفسه من الذل الذى يتعرض له كل لحظة بعد أن خسر كل شيىء وتسبب فى كوارث لا يعلم مداها إلا الله.

الفصل الرابع

المعصية والتوبة
وفلسفة الرحمة الإلهية

الكافر يريد الخير العاجل.. ومن هنا فهو يفعل أى شىء.. ليحصل على خير الدنيا دون أن يعمل حساباً للآخره.

محمد متولى الشعراوى

الله غنى عن العالمين.. والخلق هم المحتاجون لله سبحانه وتعالى وهم مأمورون لتنفيذ أوامره.. وابليس يعمل على إبعاد العباد عن تنفيذ أوامر الله.. أى غوايتهم شدهم إلى طريق المعصية.. ومنهج ابليس هو أن يمنع الفرد من أن يعمل لآخرته.. ويريد إهلاك العاصى ومن رحمة الله سبحانه وتعالى أنه حذرنا من ابليس ودعانا إلى اتقاء وسوسته.. ورغم المعصية الإنسانية المتكررة فإن الله - سبحانه وتعالى - رحيم بشرط أن يكون فى نفس العاص ندم آدم.

ورغم التحذير الربانى فإن فرعون موجود بيننا وقصته تتكرر كل يوم..

هذا ما نناقشه بالتفصيل فى هذا الفصل.

شاء الله سبحانه وتعالى أن يجعل العقل البشرى مفرداً بأن يرث الحضارات.. أى أن الإنسان هو الكائن الذى يستطيع أن يبدأ من حيث انتهى أبواه وأجداده.. فأنت تستطيع أن تعلم ابنك ما وصلت إليه من قمة العلم.. وهو يزيد عليه.. وهكذا تنتقل الحضارة الإنسانية من جيل إلى جيل، مستوعبة الماضى مضيفة إليه من الحاضر لتصل إلى المستقبل.

وهذه الخاصية قد وضعها الله سبحانه وتعالى فى العقل البشرى ليستطيع أن يتقدم.. وأن يكون معداً عندما يكشف الله آياته فى الأرض فيستوعبها.. ولولا تلك الوراثة الحضارية لبقى الإنسان الأول على ما هو عليه.. ولما تقدمت الدنيا كلها.

ولكن وراثة الحضارة التى وضعها الله سبحانه وتعالى فى العقل البشرى وحده قد جعلته يستطيع أن يحقق هذا التقدم العلمى الهائل.. فإذا قال لك أحدهم مزهوا بما حققه الإنسان من العلم الذى أتاحه له الله فى الأرض.. فقل له لا تزه بنفسك ولا

بالبشر جميعاً.. بل ارجع الفضل إلى الله.. واسجد له واشكره.. لأنه هو الذى اختص عقلك البشرى دون سائر المخلوقات.. لوراثة الحضارة والعلم.. ولو كان لك عقل كالقرد مثلاً.. لبقيت على حالتك بالنسبة للحياة الأولى.. ولما استطعت أن تتقدم خطوة واحدة فى سبيل الحضارة.. وأن تصل إلى هذا العلم الذى أتاحه لك فالفضل أولاً فى كل تقدم بشرى هو لله سبحانه وتعالى الذى أعطى العقل البشرى خاصية التقدم بأن جعله يستطيع أن يرث الحضارة.. وإذا أردنا أن نسجد شكراً للنعم التى أتاحها الكشف العلمى والتقدم التكنولوجى.. فاننا يجب أن نسجد أولاً لله سبحانه وتعالى.. الذى وهبنا نعمة العقل.. الذى يمكن أن يحقق هذا.. واختصنا بالقدرة على استيعاب التقدم العلمى.

على أننى أختلف مع الذين يربطون بين أوامر الله وبين المظاهر الدنيوية.. فيأتى بعض الناس ليقول لك أن الصلاة نوع من الرياضة.. وأنا أقول لا.. إنها طاعة لأمر الله.. ولو كانت نوعاً من الرياضة للعبنا الرياضة وتركنا الصلاة.. وبعض الناس يقول أن الصوم هو الإحساس بشعور الإنسان الجائع وأنا أقول لا.. إنه طاعة لأمر الله.

إن الخلق هم المحتاجون لله سبحانه وتعالى ولتنفيذ أوامر الله سبحانه وتعالى.. والله غنى عن العالمين.. ومعنى أنه غنى عن العالمين.. أى غنى عن كل ما خلقه من أنس وجان وملائكة وأرض وسماوات وكل خلق له.. فمن هذه النقطة.. نقطة العزة استطاع ابليس أن ينفذ بقسمه ليقول لله سبحانه وتعالى بعدم حاجتك إلى هؤلاء جميعاً.. وإلى خلقهم وأرزاقهم إلى يوم القيامة سأقوم بإغوائهم.

والغواية هى إبعاد الناس عن طريق الله.. وتزيين الباطل لهم، فالمنهج فى أن تفعل ولا تفعل أى يريد الخير للإنسان.،. ولكن مفهوم الخير يختلف عند البشر.. فهناك خير عاجل.. وخير آجل.. ولنقرب هذه النقطة إلى الأذهان.. هب أن هناك طالبين.. أحدهما يقوم بالمذاكرة والآخر يقضى نهاره فى اللعب.. كلاهما يرى الخير لنفسه.. ولكن النظرة إلى الخير هى التى تختلف.. فالأول يرى أن الخير فى المذاكرة والتحصيل ليحصل

على مستقبل أفضل فهو يريد الخير الآجل.. والثانى يريد أن يمتعها فى كل يوم تعيشه.. ثم بعد ذلك يجد نفسه مشرداً أو سارقاً ليحصل على رزقه.. هذا هو الفرق بين الاثنين.. والفرق فى النظرة إلى الخير.

المؤمن ينظر إلى الخير على أساس الدنيا والآخره.. فهو يريد أن يحقق خيراً فى الاثنين معاً.. ومن هنا فإن أى شيىء يأتيه فى الدنيا يمنع عنه خير الآخرة فهو مرفوض.

والكافر يريد الخير العاجل.. ومن هنا فهو يفعل أى شيىء.. ليحصل على خير الدنيا دون أن يعمل حساباً للآخرة فإذا استطاع أن يحصل على المال من أى طريق حرام أسرع إليه.. وإذا استطاع أن يحصل على المتعة من غير حلال أسرع إليها.. ثم يأتى الموت فيجد كل منهما ما قدمه.. الأول قدم الخير للآخرة.. فيجد خيرا.. والثانى لم يقدم شيئاً للآخرة فيجد الجزاء.

إذن.. فمنهج ابليس أن يمنعك أن تفعل شيئاً لأخرتك.. ومن هنا فهو يزين لك الحياة الدنيا.. بما فيها من متع مادية ويحاول أن ينسيك الآخرة بما فيها من نعيم دائم.. وهذه هى الغاية تتم بقسم ابليس «بعزتك» وهو يدخل من باب استغناء الله عن كل خلقه.. فلو أراد الله سبحانه وتعالى خلقه جميعاً مهديين إلى الصراط المستقيم، لما استطاع الشيطان أن يتقدم منهم.. ولما استطاع أن يغويهم.. ولذلك استثنى وقال: إلا عبادك منهم المخلصين.

ثم ننظر بامعان فى المعصية.. ويمضى ابليس فى إمعانه فيقول **«ثم لآتينهم من بين أيديهم.. ومن خلفهم.. وعن إيمانهم.. وعن شمائلهم»** سورة الاعراف – الآية ١٧.

إذن ابليس قال لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن إيمانهم وعن شمائلهم.. ولم يذكر شيئاً عن الجهتين الباقيتين من فوقهم ومن تحتهم.. رغم أنهما من الجهات الست المعروفة.. ذلك لأنه يعلم جيداً ما فوق الإنسان يمثل الفوقية الإلهية.. ومكان سجود الإنسان موضع قدميه يمثل مكان العبودية.. ولا يتأتى للشيطان

أبداً أن يعيش في مستوى علو إلهي فوقي.. ولا في مستوى تحتي يمثل مكان السجود والعبودية.

إذن انتهت الجهات الست.. ولم يستطع ابليس أن يدعى أنه سيأتى من مكان فوقى.. أو من مكان تحتى هو مكان السجود والعبادة.. والعجيب أنك إذا نظرت إلى نظريات الإلحاد فى كل عصر.. تجدها من هذه الجهات الأربع فيقول لك هذا تقدمى.. أو رجعى أى خلفى يريد العودة إلى الوراء.. أو يمينى.. أو يسارى..تلك هى نظريات الإلحاد الأربع التى يأتى منها ابليس.. ولكننا لسنا فى واحدة من هؤلاء.. لسنا تقدميين ندعو إلى التحلل والإلحاد والإباحية.. ولسنا رجعيين نسير على ماوجدنا عليه آباءنا.. ولسنا يمينيين على عرف العصر.. ولا نحن يساريين على عرف العصر أيضاً.. وإنما نحن أمة محمدية فوقية.. كل أمورنا تأتى من السماء.. ولذلك فإنك إذا خضعت إلى حكم الله سبحانه وتعالى.. فاعلم أنك غير خاضع لمساويك.. ولا أنت ذليل لخلق مثلك.. بل أنت خاضع للذى هو أعلى منك.. والذى تخضع له من المخلوقات طوعا فى الحياة الدنيا.. وكرها فى الآخرة.

وأنت فى ذلك مساو لأعلى خلق الله فى الأرض فهو خاضع لله.. وأنت خاضع لله.. وهو مطلوب منه أن يطبق منهج الله.. وأنت مطلوب منك أن تطبق منهج الله.

اذن لا ذلة هنا أبداً.. بل أنت مساوٍ لأكبر خلق الله فى الدنيا.. وربما أنت أفضل منه فى طاعة الله.

والشيطان يريد المعصية ويريد إهلاك العاصى فى نفس الوقت.. ذلك أنه يحس بعداوة رهيبة للإنسان.. فهو يعتقد أن الإنسان كان سبب طرده من الجنة.. وسبب لعنة الله له فى الدنيا والآخرة.. كل هذه الأشياء قد خلقت بُغضاً رهيباً فى الشيطان للإنسان.. ولذلك فهو يغريه ليهلكه.. يزين له أن يفعل.. فإذا فعل يهرب الشيطان بعد أن أوقعه فى المعصية.. ويتركه لأسوأ جزاء فى الدنيا والآخرة.

ولقد كان من رحمة الله سبحانه وتعالى أن أخبرنا بذلك لنتخذ حذرنا.. ونتقى وسوسة الشيطان.. وأعطانا التجربة المادية لآدم.. لنعلم أن وسوسة الشيطان وهم من الغرور.. وتزيين للباطل.. وأن الإنسان لن يحصل على شيىء من هذا كله.. ولذلك فإن معصية الشيطان تختلف عن النفس الامارة بالسوء.. فالنفس الامارة بالسوء إذا أرادت المعصية أصرت عليها وألحت حتى يقوم صاحبها بارتكابها.. وهى نفس المعصية لا تتغير ولا تتبدل.. ولكن إغواء الشيطان يختلف عن ذلك.. إذ أنه يريد المعصية لمجرد المعصية.. فإذا وجد إنساناً قوياً فى ناحية من النواحى اتجه إلى ناحية ثانية.. لأنه لا يريد هذا اللون من المعصية فقط.. ولكنه يريد المؤمن عاصيا على أى شكل من الأشكال.. فإذا اعز عليه باب.. يطرق بابا آخر.. وهكذا يظل يحوم حول النفس المؤمنة اغراء من كل ناحية.. حتى تسقط النفس فى معصية من المعاصى.. ولقد كانت رحمة الله بالمؤمن أن دله على طرق الشيطان فى كل ناحية من النواحى.. ودله على الطريقة التى يقى نفسه منها.

ويجب أن تعلم أن الله سبحانه وتعالى.. إذا كان يريدنا بلا معارض ولا موسوس.. فهو قادر على ذلك.. وإذ كان يريدنا أن نكون مقهورين على الطاعة.. فهو قادر على ذلك.. ولكنه يريدنا أن نأتى إليه باختيارنا.. وأن نعبده اختياراً من أنفسنا.. وليس قهراً منها.. ومن هنا لابد أن يكون هناك الإيمان والمعصية.. هذا له حلاوة.. وهذا له إغراء عاجل ليتم الاختبار عن حقيقة واقعة.. وليكون هذا الاختبار هو الطريق إلى الجنة.. وإلى الحياة الطيبة فى الدنيا.. إنما هو ضرورة لازمة للطاعة.. فلو انها ليست موجودة لكان الإنسان مقهوراً على الطاعة.. ليس له طريق غيرها.. وانتفت بذلك كل الحكمة من الجزاء والعقاب.. وانتفت حكمة خلق الحياة.. والدنيا والآخرة.

والله سبحانه وتعالى كان رحيماً بنا فى التجربة.. فهو لم يخلقنا ليلقى بنا إليها دون أى تدريب سابق.. بل خلقنا ودربنا وأفهمنا ماذا سيحدث.. فالشيطان عصى الله أمام آدم.. ثم توعد آدم.. والله سبحانه وتعالى نهى آدم عن الآكل من الشجرة.. وقال

لآدم انى حرمتها انها تهلكك وتضرك.. وجاء الشيطان بمنطق الكذب.. فقال أن هذه الشجرة تمنحك الخلود.. وملكا لا يبلى.. وأن الله سبحانه وتعالى منعك عن الآكل منها.. لأنه لا يريد أن تصبح ملكاً أو خالداً.. كان هناك قول الله الحق.. وكان هناك هناك قول الشيطان الذى لا يحمل إلا الكذب.. وعدم الصدق..ومع ذلك ضعف آدم أمام رغبته فى الخلود.. وضعف أمام رغبته فى الامتلاك.. مع أنه كان يعيش فى تلك الجنة يذهب إلى المكان الذى يريده.. ويجد رزقه وقتما يريد.. وعندما يشتهى.. أى لا يحتاج لشيىء أكثر مما وفره الله له.. إلا أن الطمع البشرى بلا حدود. هذا الطمع الذى يسبب الكوارث والحروب ويجعل الدول تقفز فوق بعضها.. ورغم أن الله سبحانه وتعالى قد وفر لآدم الاستمتاع البشرى.. فقد بقى الطمع فى نفسه.. واستطاع الشيطان أن يدخل إليه من هذه الناحية.

التجربة كانت فيها معصية من آدم.. لأن الله سبحانه وتعالى كرمه.. ولكن نفس آدم أساءت الظن بالله.. لأن الله سبحانه وتعالى وفر له سبل الحياة بلا عناء ولا تعب.. ولكنه أراد أن يزداد من ذاتيته.. كأن هناك من يملك شيئاً.. ولأنه حين حرم الله عليه الشجرة حرمها لأنه يعلم أنها ضارة به.. تُشقى.. ولكن آدم لم يفطن لهذا.. ولم يفطن أن تحريم الله بالنسبة لهذه الشجرة.. لابد أن يحمل خيرا له.. لأن الله سبحانه وتعالى حين خلقه من طين أمر من هم أعلى منه خلقاً.. الملائكة والجان وهم مخلوقات من نار.. ومن نور.. أن يسجدوا له.. وفى هذا تكريم كان يجب أن يلتفت إليه آدم.. فيعلم أن ربه الذى كرمه بأن يسجد له من هم أعلى منه خلقاً.. لا يمكن أن يريد به السوء.. بل لابد أن يريد به خيرا.. وإلا فلماذا كرمه.

لنعلم أن الله سبحانه وتعالى كرمنا وفضلنا على خلقه.. ولا يمكن أن يكون هذا التكريم لأن الله يكرهنا بل لأن الله يحبنا.. ويريد لنا الخير.. ونقبل على منهج الله من منطق هذه النقطة.

وهكذا كانت التجربة والواقع.. قبل أن ينزل آدم إلى الأرض.. الله سبحانه وتعالى أعطاه أمرا.. والشيطان أغواه على معصيته.. وظهر أن أمر الله هو الخير.. وأن وسوسة الشيطان كلها كذب وخداع واغراء بلا حقيقة.

وكان الله رحيما أن اعطانا هذه التجربة.. وذكرنا بها فى قرآنه الكريم.. علنا نفيق ونعرف الحقيقة.. ونعلم أن الله سبحانه وتعالى يريد بنا الخير.. ولا يريد لنا الشر ولا العذاب أبدا.. وإننا إذا احببنا الله أحبنا ودافع عنا..

وامتدت رحمة الله إلى الإنسان فى الأرض.. ثم علمه كلمات يتوب عليه بها.. ويمحو له الذنوب.. ويغفر الخطايا.. بشرط أن يكون فى النفس البشرية ندم آدم.. ولا يكون فيها استكبار ابليس.. وقال إذا ضعفت نفسك فاستعذ بى من الشيطان.. وأنا أعيذك منه.. وقال قبل أن تقبل على أى عمل.. اقبل عليه بقولك بسم الله.. ذلك انك لا تبدأ باسم الله إلا إذا كان العمل الذى تعمله خيرا.. فانك تستحى أن تبدأ معصية باسم الله.. وعلمنا أن نقول بسم الله الرحمن الرحيم.. لأن الله سبحانه وتعالى قد خلق لنا الرحمة.. وأنت حينما تعمل أى عمل.. وفى بالك الله سبحانه وتعالى.. فانه سيعطيك العطاء فى الدنيا.. والثواب فى الآخرة.. وإياك أن تستحى أن كنت عاصيا لله.. أن تستفتح أعمالك باسم الله.. لأن الله سبحانه وتعالى لا يعرف الحقد.. ولا يتغير على خلقه.. فانت اذا عصيته.. لا يتغير ويقول.. أنا سأطرد هذا العبد.. ولن أتقبل منه شيئاً.. بل انه بمجرد أن نقول بسم الله الرحمن الرحيم.. وتقبل على الله.. يقبل الله عليك.

ويأتى الله سبحانه وتعالى إلى العاصى فلا يأخذه مرة واحدة.. وإنما يأخذه بعذاب محدود صغير.. فيشكو إلى الله سبحانه وتعالى.. ويرفع يديه إلى السماء.. ويصيح يارب.. فينجيه الله.. وبمجرد أن يحس الإنسان ببعد الخطر عنه يعود مرة أخرى إلى الذنب.. بل ربما عاد إلى ما هو أكبر منه.. ناسياً أو متناسياً.. أنه كان يمر بضر أو بشدة أو بضيق وأنه رفع يديه إلى السماء وقال يارب.. وكان عدلاً إلا تتفتح أبواب السماء لعاص.. ولا ينفذ

منها الدعاء الذى قيل بلسان لا يذكر الله.. كان ذلك عدلا.. ولكن رحمة الله سبقت.. فانفتحت أبواب السماء.. واستجيب الدعاء.. وكشف الله الضر.. وبمجرد أن أحس الإنسان أنه قد نجا.. عاد إلى كفره.. فيعود الله سبحانه وتعالى ليذكره به.. ويقول له أفق انك تهلك نفسك.. من تُبارز وأنت لا قدرة لك.. وأنا وحدى القادر.. ولكن الغرور يركب الإنسان.. فيهمله الله ثم يذكره بقدرته عليه.. فيفتح الله باباً صغيراً من الشدة أو الغضب فيجأر للسماء.. ويرفع يديه ويصيح يارب ويكون عدلاً من الله سبحانه وتعالى إلا يتقبل.. ويكون عدلاً إلا تتفتح أبواب السماء.. ولكن رحمة الله تتدخل وترفع الشدة وتزيل الكرب.. فإذا أحس الإنسان أنه نجا.. عاد إلى كفره.. إلى أن يفتح الله عليه بابا من الشدة أو العذاب لا يغلق أبدا.. لأنه صمم على الكفر.. رغم أن الله أراد رحمته مرات ومرات.. وأزال عنه الكرب المرة تلو المرة.

وإذا عدنا إلى قصة موسى عليه السلام نجد أن الله سبحانه وتعالى أخذ فرعون بالقول اللين أولاً.. فقال الله لموسى وهارون «**اذهبا إلى فرعون انه طغى * فقولا له قولا لينا، لعله يتذكر أو يخشى**» سورة طه – الآية ٤٣ ، ٤٤.

قال موسى القول اللين لفرعون، فلم يرتدع.. وزاده القول اللين طغيانا.. وحاول أن يبارز موسى بالسحرة.. فأبطل الله خداع السحر وكان السحرة أول المؤمنين وكانت هذه معجزة كافية لأن يؤمن فرعون بعد أن سجد السحرة لرب موسى.. وازداد فرعون طغيانا فأمر بقتل السحرة.. وكلما جاء موسى بآية أنكرها.. ثم أمر بتذبيح أولادهم واستيحاء نسائهم.. وبدأ الله سبحانه وتعالى بعد كل الآيات التى أيد بها موسى.. بدأ الله يذكر فرعون بقدرته مباشرة.. بدون رسول.. فسلط على قوم فرعون الدم والضفادع والقمل.. وفى كل مرة تحدث فيها اية من هذه الايات التى تحمل العذاب الأصغر.. بدلاً من أن يؤمن فرعون.. ويتذكر قدرة الله ويتوب إليه ويعرف أن الله فعال لما يريد، يأتى إلى موسى ويقول له أدع لنا ربك يزل عنا هذا ونحن نؤمن فيدعو موسى ربه..

فيزيل العذاب فيزداد فرعون كفرا فتأتى آية أخرى.. تذكر بالأولى وبقدرة الله.. وبأن الله سبحانه وتعالى له ملك السماوات والأرض.. أى أنه يملك القوة لتحقيق ما فى قدرته.. لكن فرعون أصر على الكفر والمعصيه.. والاصرار على الكفر والمعصية لا يحبهما الله.

وقصة فرعون هذه ليست غريبة عن حياتنا.. فالله سبحانه وتعالى يأتى لكل عبد من عباده الكافرين ليذكره به.. فيتجه بالدعاء إلى الله وقت المحنة.. ثم تزول المحنة فينسى.. وهكذا حتى يفتح الله عليه باب ذا عذاب شديد.. حينئذ يتذكر الله.. ولكن بعد فوات الآوان.. ففرعون حينما كان يغرق فى البحر أعلن إيمانه.. ولكن الوقت كان قد فات.. لأن الله فتح عليه من أبواب الرحمة والتوبة.. وأراه من الآيات.. ماكان يجب أن يجعله مؤمنا.. شديد الإيمان ولكنه أصر على الكفر.. ولذلك فإن الله سبحانه وتعالى يذكرنا بذلك.. وبأن الاصرار ليس من صفات المؤمنين ولكنه من صفات العصاه الكافرين فيقول :

«والذين إذا فعلوا فاحشة، أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فإستغفروا لذنوبهم» سورة آل عمران – الآية ١٣٥.

الفصل الخامس

الله موجود
عندما تعجز الأسباب

ما من أمة عبدت الفرد إلا وانتشر فيها الظلم وعم فيها الارهاب، وضاع فيها الحق واستعبد الإنسان، والله قد شدد العذاب على أولئك الذين يعاونون هذا الحاكم ويفعلون له ما تهوى نفسه ويغضبون الله.

محمد متولى الشعراوى

الله خالق الأسباب وهو القادر على قطعها وتعطيل تفاعلها وعملها وقدرة الله مطلقة لا ترتبط بأسباب..

تفاعل الأسباب تحكمه إرادة الله وليس بمنأى عن مشيئته وما قدره سلفا..

الماديون يقيمون علائق وشيجة بين الأفعال والنتائج وبين المسبّب والسبب دون اعتراف بفصل أيهما عن الآخر.

لا تعارض بين السعى فى الرزق كسببٍ وبين قدرة الله المطلقة فى منح الرزق..

ما أكثر الذين تدفقت عليهم نعم الله دون مشقة أو سعى أو ابتغاء.. وما أكثر الذين انقطعت عنهم هذه النعم واستحالت عليهم مع ما بذلوا فى طلبها وابتغائها من جهد ومشاق.

قضايا حية وحساسة يقدمها هذا الفصل.

الله سبحانه وتعالى خلق ما فى الأرض جميعاً وخلق لها الأسباب التى تتفاعل بها، والقوانين التى تحكمها، والله سبحانه وتعالى حين قال «كن» خلق فى نفس اللحظة، ولكن الأسباب تفاعلت فى السموات والأرض فى ستة أيام، وهى فى ستة أيام كأيام البشر لأن القرآن يخاطب الإنسان، ومن هنا فإن كل ما يتحدث عنه موجه إلى القْدر البشرى والعقل البشرى، سواء أكان ذلك حاضراً أم مستقبلاً مما يخفى على عقولنا الآن.

ولكن هذه القوانين والأسباب لا يمكن أن تكون قيداً على طلاقة القدرة، ذلك لأن الله سبحانه وتعالى لو قضى بالأسباب وحدها فى الأرض، لعبد الناس الأسباب، ونسوا المسبب أو الخالق، لذلك بقيت طلاقة القدرة لتلفت الناس إلى أن الذى خلق الأسباب لا تقيده هذه الأسباب.. وأنه يفعل ما يشاء، عندما يشاء، وقتما يشاء، لذلك

نجد إنسانا يكد ويكدح كثيراً، ومع ذلك فهو ضيق الرزق، وإنساناً آخر يعمل قليلاً ومع ذلك فرزقه وفير.

كذلك نرى إنساناً ضعيفاً ينتصر بقدرة الله على إنسان ظلمه، تلك ليست القاعدة، فالقاعدة هى الأسباب، ولكن طلاقة القدرة تأتى، وتأتى بشكل ظاهر لتلفت الناس إلى قوة الله وقدرته.

إن هذا الحديث لا يعجب إناساً كثيرين من أولئك الذين تعلقوا بالحياة المادية، ذلك لأنهم ينسبون إلى الإسلام أنه دين يحض على التخلف بسبب الإيمان بطلاقة القدرة ويقولون أن قول الله تعالى **«يرزق من يشاء بغير حساب»** سورة البقرة - الآية ٢١٢ - دعوة لئلا يسعى الإنسان فى الرزق، فمادام الله يرزق من يشاء بغير حساب، فلماذا العمل والتعب، ولماذا السعى وراء الرزق مع ما يورثه للنفس من مشقة ومما تكره، وقبل أن نجيب على هذا السؤال، نطرح قضية هامة معاصرة، تفيق هؤلاء إلى صدق اقول الله وتجعلهم يعرفون يقيناً صدق الآية الكريمة **«يرزق من يشاء بغير حساب»** سورة البقرة - الآية ٢١٢ - هؤلاء الذين يطعنون فى هذه الآية، يعبدون الأسباب ويتخذونها إلها، فكل رزق مساو للعمل الذى يتم من أجله، فأنت إذا عملت ليل نهار، زاد رزقك، وإذا عملت بضع ساعات - مثلا - قل رزقك، وهكذا، تلك القاعدة التى يتبعونها فى أن كل رزق يحب أن يكون مساوياً للعمل الذى يتم من أجله.

نقول لهؤلاء، إن هذا قد يكون صحيحاً كقاعدة عامة، ولكنه لا ينفى قول الله تعالى **«يرزق من يشاء بغير حساب»** سورة البقرة - الآية ٢١٢ - ونلاحظ فى الآية الكريمة قول الله «من يشاء»، ولم يقل سبحانه وتعالى أرزق كل الناس بغير حساب، بل لكل رزق معلوم على قدر ما أتاحه الله من عمل وجهد له، ولكن هناك المشيئة أو طلاقة القدرة، تعطى بغير حساب، أو بغير أسباب.

وإذا نظرنا إلى دول البترول، تلك التى تملك القوة الحقيقية فى المال أو الرزق فى

العالم أجمع، إذا نظرنا إلى أبنائها، نجد أنهم أكثر الناس رزقاً أو مالاً، بل هم قد فاقوا فى الرزق تلك الأمم التى فاقتهم فى العمل والعلم، وأصبحت تتوجه إليهم ليدعموها فى الرزق، فأمريكا وأوروبا الغربية من أكثر الدول عملاً وعلماً، ولكنها فى اقتصادها تتجه إلى دول البترول لتقترض منها بالبلايين، لتدعم اقتصادها، وتحاول أن تجذب أموال البترول لتستثمر فى بنوكها، بل أن دول البترول تستطيع أن تفلس أكبر دول العالم كأمريكا وألمانيا الغربية واليابان، إذا هى سحبت دعمها الاقتصادى لها وأوقفت مشترياتها منها.

إذن، من الذى يملك القوة الاقتصادية الحقيقية فى العالم ؟ إنها دول البترول، فهى التى تملك المال أو الرزق حقيقة، وهى التى تستطيع أن تتحكم ليس فى رزقها فقط، ولكن فى اقتصاد العالم كله، وذلك بشهادة كل الماديين وغير المؤمنين فى العالم.

بقى بعد ذلك الشق الثانى من السؤال، وهو إذا كانت دول البترول قد وصلت إلى هذا المركز الذى يتحكم فى اقتصاد العالم أجمع، فلابد أنها قدمت حسب النظرية المادية – من العلم والعمل ما يفوق ما قدمته دول العالم أجمع، ولكن هذا غير صحيح، فهذه الدول الغربية تقدم علما وعملاً، بل ان اكتشافات البترول قامت به شركات غربية من الدول التى تخضع الآن – اقتصاديا – لدول البترول، أى أنه حتى العمل القليل الذى تم، تم بواسطة خبراء جاءوا وبحثوا، وآلات ومعدات تكنولوجية استوردت من دول أخرى.. فكيف إذا لم يكن الله سبحانه وتعالى **﴿يرزق من يشاء بغير حساب﴾** سورة البقرة – الآية ٢١٢ – كيف يمكن تفسير ما هو حادث، لو أن القاعدة على اطلاقها أن الأسباب هى التى توجد الرزق لما كان ذلك يمكن أن يحدث، ولما كانت دول البترول تستطيع أن تكون أكبر قوة اقتصادية فى العالم، وفى زمن قياسى، لا يستطيع العمل والعلم خلاله أن يحدثا ذلك، فلكى تتطور دولة أو عدة دول لتصبح أغنى دول العالم، فإن ذلك يتطلب بجانب العمل والعلم وما يمكن أن يحدثاه – فترة زمنية طويلة، ولكن هنا، لا الزمن ولا العلم ولا العمل يتناسب مع الرزق، إذن من الذى أوجد الرزق ؟ الله

سبحانه وتعالى مصداقاً للآية الكريمة **﴿يرزق من يشاء بغير حساب﴾** سورة البقرة – الآية ٢١٢.

هنا يجب أن يتوقف الحكم المادى الغربى الذى يأخذ الأسباب على إطلاقها، والذى يطعن فى الآية الكريمة **﴿يرزق من يشاء بغير حساب﴾** سورة البقرة – الآية ٢١٢، ويدعى أنها لا تتمشى مع تطورات العصر، وتقدم العلم ومقاييس الزمن، نقول له : قبل أن تتسرع فى اتهامك، تأمل فى الكون، تجد فى كل مكان رزقاً لمن يشاء بغير حساب، هذا الرزق يلقى الأسباب بعيداً لتأتى طلاقة القدرة وتعلن أن الله يفعل ما يشاء، عندما يشاء، وقتما يشاء، وأنه اذا كانت الأسباب موجودة، فإن طلاقة القدرة موجودة فى الكون، وأعتقد أنه لا أحد يستطيع أن يرد على هذه النقطة، أو يدعى ظلما وبغير حق أن الآية الكريمة **﴿يرزق من يشاء بغير حساب﴾** سورة البقرة – الآية ٢١٢– ليست حقيقة كونية، موجودة من خلق الله الأرض، وستظل إلى قيام الساعة، ونحن نطلب من كل من يستطيع الرد على ذلك أن يتكلم.

نعود بعد هذه اللمحة إلى طلاقة القدرة، لماذ أبقى الله سبحانه وتعالى طلاقة القدرة فى الكون ولم يتركه يتفاعل بالأسباب وحدها، الذى حدث، أن الأسباب، أو المعطيات المادية، تعطينا ظاهرة الحياة، وتنظم سيرها العادى، ولكن ابقاء هذه الأسباب وحدها – فيه بعد عن الله سبحانه وتعالى –، ذلك أن الله قد مكن بعض خلقه من الأسباب فى الأرض، ليسير الكون وتمضى الحياة، فهذا رئيس للدولة، وهذا ميسر له أسباب النفوذ والسلطان، وهذا ميسر له أسباب المال، إلى آخر ما نراه فى الدنيا كلها، وجعل الله العطاء ظاهراً من الأسباب ليسير الكون، ثم ماذا حدث، جاء إلى الكون إناس ماديون، يحاولون أن يضلوا عن سبيل الله بالأخذ بالأسباب وحدها، فهذا يملك المال وهو يستطيع منحى ما أريد إذا فعلت له ما يطلب، وهذا يملك الجاه والسلطان، وهو يستطيع أن يعطينى منه ما أريد إذا فعلت له ما يطلب، وهكذا ظاهر الحياة الدنيا.

هب أن هؤلاء الناس لا يخشون الله، أنهم قد طلبوا منى أن أفعل ما يغضب الله من أجل منصب أو جاه أو مال، فماذا يكون الموقف، لو كنت أعبد الأسباب وحدها لنفذت لهم ما يريدون، لأصل إلى حاجتى، أو ما أريد، فإذا قال لى صاحب المال، أو صاحب النفوذ والسلطان، اقتل وساعطيك كذا وكذا، لفعلت ذلك بلا تردد، إحساساً منى بأن عطاء الأسباب فى يد هذا وحده، وإن معصيته ستؤدى بى إلى التهلكة وتحرمنى من مقومات الحياة، وأن طاعته ستجعلنى أعيش الحياة الرغدة التى أتمناها فى الدنيا، وبهذا، وبغير ما ننظر إلى ما قال الله إفعل ولا تفعل، انطلق أنا لا حقق هوى وشهوات ذلك الذى يملك المال أو الجاه أو السلطان، ولو كنت تغضب الله، وتمضى الأسباب لتؤدى إلى عبادة الفرد، حيث يصبح الهوى الشخصى، والغرض البشرى هما الأساس فى الحياة، فيفسد الكون كله، ولا تمضى الحياة وفقا لمنهج الله الذى يحمى الإنسان الضعيف من بطش القوى، والمظلوم من قدرة الظالم، ولكنها تكون حياة وفقاً لهوى النفس فيصبح الذى يحكم هو شهوة الحاكم وليس دين الله.

هذه هى خطورة الأخذ بالأسباب وحدها، وهى خطورة تعرض الكون كله للاختلال، وتضيع موازين العدل، وتكثر من البغى فى الأرض والفساد، وما من أمة عبدت الفرد إلا وانتشر فيها الظلم وعم فيها الارهاب، وضاع فيها الحق واستعبد الإنسان، تلك حقيقة تستطيع أن تدركها إذا نظرت إلى أى دولة نصب حاكمها نفسه إلها، يعبد من دون الله فى الأرض، وهى حقيقة منذ بدء التاريخ فى عهد فرعون حتى عصرنا هذا، والله سبحانه وتعالى قد شدد العذاب على أولئك الذين يعاونون هذا الحاكم، ويفعلون له ما تهوى نفسه ويغضبون الله سبحانه وتعالى، فخص آل فرعون دون سائر خلقه بأنهم منذ ساعة أن توفاهم حتى يبعثهم يوم القيامة يعرضهم على النار صباحاً ومساء فقال سبحانه وتعالى : **«النار يُعرضَونَ عليها غدوا وعشيا ويوم تقوم الساعة ادخلوا ال فرعون أشد العذاب»** سورة غافر – الآية ٤٦ .

أى أنه لم يختصهم فقط بأشد العذاب يوم القيامة، بل زادهم بالعرض على النار غدوا وعشيا إلى يوم البعث، وتشديد العذاب هنا متناسب مع شدة المعصية، فعبادة الفرد هى إطلاق للشهوات والظلم والفساد.

إذن فإطلاق الأسباب وحدها فى الكون، يؤدى إلى عبادة الفرد، وإلى ظلم عظيم، ويجعل الناس يعبدون الأسباب، وينسون المسبب ويخضعون لمن فى يده الملك والسلطان، والجاه والمال، ويتركون حكم الله.. لماذا ؟ لأن الأسباب هنا، هى التى تعطى، وهى التى تهب، ما يهب ظاهراً يعبده الناس، لأن ظاهراً يعطى ويمنع، ومن هنا كان لابد من طلاقة القدرة لتصحح المسيره، وتفيق الناس، وتجعلهم يعلمون أن الله هو الذى أعطى الأسباب، وأنه يستطيع كما أعطاها أن يأخذها، وأن العبادة لله وحده وأن من ترك المسبب وعبد الأسباب، فانه قد ضل ونسى الله.

ولذلك فنحن نتعجب من إنسان يملك أمور الدنيا كلها من قوة وجاه ومال وسلطان، ثم يأتى إنسان ضعيف لا حول له ولا قوة فيقصيه عن ملكه ويبعده عن ماله، ويصبح ذليلاً طريداً، تضيق عليه الأرض بما رحبت، بعد أن كان يملك من أسباب القوة والملك ما يجعل الدنيا كله تخضع له وتتقرب إليه.

ونحن نرى كل يوم طلاقة القدرة فى العالم كله من ملك يذهب، وملك يجيىء ومن صاحب سلطان أو مال يصبح فقيراً معدماً مطروداً فى ساعات، ومن ذلك الذى كان يجلس على كرسى الحكم، ثم بعد ذلك بساعة تجده فى السجن والقيود فى يديه، كل ذلك يحدث أمامنا ليذكرنا بطلاقة القدرة وقوة المشيئة، ويؤكد لنا أن الأسباب التى أعطيت لأى بشر، لتمكن له ملكا أو جاها أو سلطانا، إنما هى أسباب معطاه من الله سبحانه وتعالى، وليست باجتهاد هذا الشخص أو تابعه من ذاته، بحيث إذا أراد الله، زالت هذه الأسباب، ولو كانت الأسباب ذاتية، أى تنبع من الإنسان نفسه لبقيت له، ولم يستطع أحد أن يأخذها منه، ولكن كونها تزول عنه وفى لحظات دليل على أن الله سبحانه وتعالى هو الذى وهبه الأسباب وهو الذى أخذها منه.

ولا تقتصر طلاقة القدرة على قمة الأمور فى الدنيا، بل هى فى أكبر الأشياء وفى أبسط الأشياء، ولا تقتصر على فرد دون آخر، بل يراها الجميع، وكل منا صاح فى يوم من الأيام «ربنا كبير» أو «ربك يمهل ولا يهمل» وهو يرى طلاقة القدرة تتدخل لتنصر مظلوماً ضعيفاً على ظالم قوى، أو تقتص من إنسان ارتكب جريمة وحسب أنه نجا من العقاب، أو لتعيد حقاً ضاع من صاحبه وحسب الناس أنه ضاع إلى الأبد، أو لتزيل ظلماً أو لتقعد جباراً كان يؤذى الناس لتجعله عاجزاً عن رد الأذى عن نفسه، تلك كلها طلاقة القدرة، وكلمة «يارب» التى تخرج من قلب مظلوم لا حول له ولا قوة يتبعها تدخل السماء لتزيل ظلماً وتعيد حقاً، وتصحح الموازين فى الأرض.

وإذا كانت طلاقة القدرة باقية فى الكون فأساس بقائها أنها تذكرنا بالله سبحانه وتعالى، فإذا وعدك ظالم بأخذ أسباب المال مقابل أن تفعل له ما يغضب الله فإن طلاقة القدرة تذكرك بأن الله يرزق من يشاء بغير حساب وأنك إذا عصيت هذا الظالم وأطعت الله، فإن الله يعطيك من الرزق مالا يخضع للأسباب، ويفتح لك أبواباً ما كنت تدرى عنها شيئاً، ومن حيث لا تعلم يأتيك الرزق الذى تريده.

وإذا طلب منك صاحب جاه أو سلطان أن تفعل ما يغضب الله فإن طلاقة القدرة تذكرك بأنك إذا أطعت الله أعطاك هذا المنصب أو خيراً منه.. وأنه إذا كان هذا الإنسان يملك الأسباب التى تجعلك تخاف إلا تصل إلى ما ترجوه، فإن الله سبحانه وتعالى يملك القدرة التى تعطيك بلا حساب، وبهذا تعرف جيداً أن من يغريك، هذا بماله، وهذا بسلطانه، هما سببان زائلان، وأن طلاقة القدرة لا يهمها هذه الأسباب ولا تتقيد بها.

على أن الله سبحانه وتعالى لم يجعل طلاقة القدرة غيباً عنا ولا جعلنا نجهلها أو لا نعرف عنها شيئا، بل ذكرها فى مواضع كثيرة من القرآن الكريم، بحيث نجد فى كل سورة إشارة إلى طلاقة قدرة الله سبحانه وتعالى، فإذا قرأت قوله تعالى **«يختص برحمته من يشاء»** سورة آل عمران – الآية ٨٤ **«ويعذب من يشاء»** سورة آل عمران ١٢٩، **«ويغفر**

لمن يشاء» سورة المائدة – الآية ٤٠ ، **«ويهدى من يشاء»** سورة يونس – الآية ٢٥، **«يضل من يشاء»** سورة فاطر – الآية ٨، **«يرزق من يشاء»** سورة الشورى – الآية ١٩ **«تذل من تشاء»** سورة آل عمران – الآية ٢٦ ، **«تنزع الملك ممن تشاء»** سورة آل عمران – الآية ٢٦ ، **«إن الله على كل شيىء قدير»** سورة البقرة – الآية ٢٠ ، نجد أن الله سبحانه وتعالى قد اعطانا طلاقة القدرة فى هذه الآيات وفى عشرات من الآيات الأخرى فى القرآن الكريم، وليست هذه الآية إلا مثلاً فقط أن طلاقة القدرة يشار إليها فى القرآن الكريم فى أكثر من موضع، ولو قرآت القرآن لوجدت أضعاف أضعاف هذه الآيات تنبئنا بطلاقة القدرة.

على أن الله سبحانه وتعالى لم يجعل طلاقة قدرته سراً على عباده، بل أنبأهم بطلاقة هذه القدرة ووجودها، ولعل الله سبحانه وتعالى فى قوله تعالى **«إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون»** سورة يس – الآية ٨٢ – هو قمة طلاقة القدرة، ذلك أن هذه الآية تنبئنا أنه ليس عند الله أسباب، وأنه إذا كان قد خلق الأسباب لتنظيم الحياة على الأرض فهى ليست قيداً على مشيئته سبحانه وتعالى.. ولو كانت قيداً لقال لنا الله أنه إذا أراد شيئاً هيأ له الأسباب ليكون، ولكن كلمة «كن» معناها أنه لا دخل للأسباب هنا، وأن الشيىء يوجد بمجرد قول الله سبحانه وتعالى «كن.. فيكون» دون أسبا أو مسببات، وخلق السموات والأرض وما فيها كان بكلمة «كن»، خلق الإنسان بكلمة «كن» والله سبحانه وتعالى يقول: **«يهب لمن يشاء إناثاً ويهب لمن يشاء الذكور»** سورة الشورى – الآية ٤٩.. ويقول : **«ويجعل من يشاء عقيماً»** سورة الشورى – الآية ٥٠.. والحكمة هنا أنه رغم أن الله سبحانه وتعالى قد جعل السبب فى الذريه من ذكر وأنثى، أى أنه لا يتم الانجاب إلا باجتماع الذكر والأنثى. إلا أن طلاقة القدرة تجعل من يشاء عقيماً، أى أنه رغم اجتماع الذكر والأنثى لا يتم الانجاب، وتتوقف الأسباب أمام مشيئة الخالق، هذا ما قاله الله سبحانه وتعالى عن طلاقة القدرة فى القرآن الكريم.

فإذا جئنا إلى التطبيق، وجدنا أن طلاقة القدرة ظاهرة واضحة فى الرسل عليهم

السلام، فمعجزاتهم كلها تأتى بطلاقة القدرة وليس بالأسباب.. فنوح عندما دعا ربه أن يهلك الكافرين.. فتحت ينابيع من السماء والأرض ليتم الطوفان، ولم تفتح هذه الينابيع بالأسباب، ولكنها فتحت بطلاقة القدرة، وابراهيم عليه السلام حين أُلقى فى النار، وخاصية النار هى الإحراق، قال الله سبحانه وتعالى **«قلنا يا نار كونى برداً وسلاماً على ابراهيم»** سورة الانبياء - الآية ٦٩، فتوقفت خاصية الإحراق فى النار فأصبحت لا تحرقه ولا تؤذيه، هنا أيضاً طلاقة القدرة، وموسى - عليه السلام - عاش مع طلاقة القدرة طوال عهد نبوته، نظرا للمعصية المستمرة لبنى اسرائل، فقد قال الله **«اضرب بعصاك البحر»** سورة الشعراء - الآية ٦٣ - فانفلق وظهر قاعه ووقف الماء الذى من خاصيته الاستطراق، وقف ساكناً بعيداً بقدرة الله سبحانه وتعالى، وعبر موسى وقومه البحر، وعندما حاول فرعون العبور عادت نظرية الاستطراق إلى الماء فأغرقته هو وجنده وعندما استسقى موسى قومه، ضرب الحجر فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا ولو أن موسى - عليه السلام - قام بحفر حفره ليبحث عن الماء، لقلنا أنه اتخذ الأسباب، ولكن لمجرد ضربه الحجر بعصا أنفجر منه الماء، لا عين واحدة، ولكن اثنتا عشرة عيناً، ذهبت كل عين بمائها إلى القوم الذين قسمها الله لهم، ورفع الجبل فوق بنى اسرائيل، وضربهم الميت بأجزاء من البقره بعد ذبحها، أى ضرب ميت بميت، وتخرج منهما الحياة، ويبعث القتيل ليدل على قاتله. كل هذه معجزات لا يمكن أن تدخل فيها الأسباب، بل هنا تتجلى طلاقة القدرة فى أن يقول للشيىء «كن فيكون»، ثم تأتى بعد ذلك طلاقة القدرة فى زكريا ومريم، حينما دعا زكريا الله أن يهبه غلاما **«فنادته الملائكة وهو قائم يصلى فى المحراب أن الله يبشرك بيحيى»** سورة آل عمران - الآية ٣٩ .. **«يا زكريا إنا نبشرك بغلام اسمه يحيى لم نجعل له من قبل سميا»** سورة مريم - الآية ٧.

هنا أخذت زكريا طلاقة القدرة فاهتز.. وسأل الله سبحانه وتعالى، كيف يمكن أن يحدث ذلك وهو شيخ كبير وأمرأته عاقر أى أن الأسباب إذا طبقناها هنا لا يمكن أن

تؤدى إلى مولد طفل، حينئذ رد الله - سبحانه وتعالى - عليه، **«هو على هين، وقد خلقتك من قبل ولم تك شيئاً»** سورة مريم - الآية ٩ - أى أن الله سبحانه وتعالى ذكّر زكريا بطلاقة القدرة فقال له لا تعتقد أن هناك شيئاً صعبا على لأن الأسباب لا تأتى به، بل من أهون الأشياء على قدرتى أن أفعل ما أريد، ويتم ما أشاء بدون أسباب، وإذا كان هذا صعبا على فهمك، فتذكر خلقك، **«وقد خلقتك من قبل ولم تك شيئا»** سورة مريم - الآية ٩ .. فإذا كانت قدرتى أن أوجد من العدم، أفلا أستطيع أن أخلق بلا أسباب.

وعندما دخل زكريا المحراب على مريم وجد عندها رزقاً، أى فاكهة فى غير أوانها، فسألها **«أنى لك هذا»** سورة آل عمران - الآية ٣٧ - أى من أين أتيت بهذه الفاكهة وهذا الطعام ؟، فقالت **«هو من عند الله إن الله يرزق من يشاء بغير حساب»** سورة آل عمران - الآية ٣٧ .. إشارة إلى أن طلاقة القدرة لا يستعصى عليها شيىء.

بل أن خلق المسيح بن مريم كان من طلاقة القدرة، والله سبحانه وتعالى خلق آدم من لا شيىء، وخلق حواء من ادم، أى أنثى من ذكر بلا أنثى، وخلق من ذكر وأنثى، ولاتمام مراحل الخلق بقى أن يتم من أنثى بدون رجل، وقد تم ذلك فى عيسى بن مريم عليه السلام.

فإذا إنتقلنا بعد ذلك إلى الإسراء والمعراج نجد أنه معجزة كبرى داله على طلاقة القدرة، فرسول الله - صلى الله عليه وسلم - أُسرى به من مكة المكرمة إلى بيت المقدس، حيث صلى بالأنبياء، وهى طلاقة فى القدرة أن يصلى حى بأولئك الذين انتقلوا إلى جوار ربهم منذ مئات السنين، ثم بعد ذلك انطلقت به طلاقة القدرة ليخترق السموات السبع ويصل إلى سدرة المنتهى، وهذا الانطلاق كان فيه تغيير لطبيعة الأشياء حتى يمكن لرسول الله أن يصل إلى سدرة المنتهى، بل أن الوحى نفسه من طلاقة القدرة أن يلتحم الملك بإنسان ليتم تبليغ القرآن الكريم.

كل هذه الأشياء فى مجموعها، هى تطبيق حى لطلاقة قدرة الله - سبحانه

وتعالى – ، فالله لم يذكر لنا طلاقة القدرة فى القرآن الكريم، دون أن يعطينا أمثلة على التطبيق، متواكبة على رسله، تؤيدهم هذه القدرة بالمعجزات التى رواها لنا القرآن الكريم.

على أن طلاقة القدرة لم تتوافر للرسل وحدهم، بل هى فى كل جزء من الحياة، وإذا أردنا أن نتأمل طلاقة القدرة فى مظاهر الدنيا، فلنأخذ قول الله سبحانه وتعالى : **﴿إن الله لا يستحي أن يضرب مثلاً ما بعوضه فما فوقها فأما الذين آمنوا فيعلمون أنه الحق من ربهم وأما الذين كفروا فيقولون ماذا أراد الله بهذا مثلاً يضل به كثيرا ويهدى به كثيرا وما يضل به إلا الفاسقين﴾** سورة البقرة – الآية ٢٦ .

إذا تأملنا هذه الآية الكريمة نجد أن الله سبحانه وتعالى ضرب مثلاً ببعوضه، والمثل هنا كالأمثلة فى القرآن الكريم لا تضرب جزافا ولكن لحكمه بالغة، حين ضُرب هذا المثل قال الكفار ماذا أراد الله بهذا مثلاً ولم يفهموا شيئا، ولكن الله سبحانه وتعالى أراد أن يضرب مثلاً بدقة الخلق، فإن خلق البعوضة المتناهية فى الصغر بكل الوظائف اللازمة لها فى الحياة، دقة فى الخلق تستوجب خالقاً قادراً، فهذه البعوضة الصغيرة الحجم، قد جعل الله فيها كل أسباب الحياة، وما فوقها، أى ما أصغر منها وأدق فى الخلق، خلقه الله ووضع فيه أسباب الحياة، واستمرار الحياة.

وهنا حكمة بالغة، إن الله سبحانه وتعالى يريد أن يخبرنا إلا نستهين بالمخلوقات الدقيقة التى خلقها لصغر حجمها وضآلتها، بل أنه كلما زادت دقة المخلوقات كان بأسه شديداً وكلما زادت ضخامة المخلوقات فليس هذا بالضرورة دليلاً على القوة، وإذا أخذنا بهذه النظرية، وعدنا إلى بداية الخلق، نجد مثلاً أن الحيوانات الضخمة التى عاشت فى القرون الأولى على الأرض كالديناصور مثلاً قد هلكت وانقرضت ولم تستطع أن تعيش العصر الجليدى الذى ساد الكرة الأرضية، هذه الحيوانات المرعبه التى كانت تزلزل الأرض، لم تستطع أن تتغلب على الطبيعة بينما البرغوث والنملة مثلاً قد عبرا هذه العصور حتى عصرنا هذا، ويقول العلماء وهم يفسرون هذه الظاهرة، إن الحيوانات

الضخمة فى أجسامها كانت تملك عقولاً صغيرة، لم تمكنها من التحايل على البيئة ولذلك هلكت.. هذا هو تفسير العلم، ولكن التفسير الإيمانى يقول، إن الله – سبحانه وتعالى – يريد أن يخبرنا أن البقاء لا يخضع لعنصر القوة، وإنما يخضع لعنصر القدرة وأن الأشياء القوية، أو ذات القوة الهائلة التى تظن أنها ستسود الأرض إلى الأبد، تأتى قدرة الله – سبحانه وتعالى – فتهلكها، بينما تبقى الأشياء الصغيرة التى لا ترى بالعين المجردة.. فالفيروس – مثلاً – الذى لا يستطيع أحد رؤيته حتى الآن لتناهى حجمه فى الدقة، أقوى من الفيل والأسد وعقل الإنسان وكل قدرات المخلوقات على الأرض، فهو يستطيع أن يقضى على أى من هؤلاء الذى يقف عاجزاً أمامه، وهو يعيش ملايين السنين مع ضآلة حجمه وتناهيه فى الصغر، وهذه الفيروسات تستطيع أن تسلب الحياة من شعب بأسره، ومن أمة تختال بقوتها فيسلط الله – سبحانه وتعالى – هذه الفيروسات التى لا ترى وتنتشر بين أفراد هذه الأمة كوباء يقينها.

هنا طلاقة القدرة التى تعطى ذلك الشيىء المتناهى فى الصغر قوة هائلة تجعله يهلك أقوى الأقوياء فى الأرض، دون أن يستطيع القوى أن يفعل شيئا، ويأتى ذلك لنؤمن بأن القوة هى لله فلا نغتر بقوتنا الظاهرية، ونحسب أنه لا يوجد فى الأرض من يغلبنا، وأدق مخلوقات الله تستطيع أن تسلبنا الحياة فى ساعات، وفى ذلك قضاء على الغرور فى النفس البشرية وتثبيت للإيمان بأنها بدون قوة الله وتأييده لا تساوى شيئاً.

على أن الله سبحانه وتعالى، قد أعطانا كل هذا لحكمة بالغة، وأوجد لنا ما يثبت طلاقة قدرته علماً وعملاً، وقولاً وفعلاً حتى يمضى موكب الإيمان فى الحياة فى نفوس مطمئنة إلى قوة الله، لا تزلزلها الأحداث ولا تشفيها الأسباب.

والنقطة الأولى فى الحكمة البالغة فى طلاقة القدرة هى الإيمان بأن الله موجود إذا عجزت الأسباب، وهذا الإيمان هو الذى يبقى الإنسان المؤمن مطمئناً إلى أن الله سبحانه وتعالى لن يتخلى عنا مهما كانت الأسباب تقول ذلك، وإذا كانت الدول المادية

التى لم يدخل فيها الإيمان تعانى فى شيىء وهو الإحساس بالخوف واليأس من الحياة ورغم كل ما فى هذه الدول من تقدم مادى وأمن وأمان، فإن كل فرد فيها يعيش فى قلق يمزقه، لأن كل إنسان مادى يعبد الأسباب دون المسبب، ويعتقد فى القدرة البشرية دون قدرة الله – سبحانه وتعالى –، فإذا فصل من وظيفة لا يقول إذا أغلق الله بابا للرزق أمامى فسيفتح لى عدة أبواب، ولا يقول أن هذا ابتلاء من الله ليمتحنى، وأن مع العسر يسرا، ولا يقول أن الذى آمنت به وعبدته لن يتخلى عنى أبدا، فذلك منطق الإيمان، ولكن منطق المادية يجعله يرى المستقبل أسود ويحس أن الدنيا أغلقت فى وجهه، وأنه لن يجد بابا للرزق، وأنه قد إنتهى تماماً، ومن هنا فهو بيأسه من رحمة الله يلجأ فى كثير من الأحيان للانتحار ويصاب بالجنون، لأنه يعتقد أن البشر الذى منعه هو الذى يملك كل الأسباب، وأن الله سبحانه وتعالى لا يملك شيئاً.

وإذا مرض الإنسان المادى بمرض ميئوس من شفائه، فقد الأمل فى المستقبل، ولم يقل إذا عجزت الأسباب فإن رحمة الله لن تتخلى عنى وسيجد لى سبيلاً للشفاء، أو يقول أن الله سبحانه وتعالى قادر على أن يشفينى ولو عجزت الأسباب، بل هو فى عبادته للأسباب يتخذها إلها، فإذا عجزت الأسباب فإن إلهه قد تخل عنه، ولم يعد أمامه إلا مصير أسود.

الله سبحانه وتعالى يريد أن ينجى المؤمنين من هذه الحياة الشقية فهو وعدهم بالحياة الطيبة، والحياة الطيبة ليس فيها الشقاء البشرى الذى تفرضه المادة على الإنسان، بل فيها رحمة الله سبحانه وتعالى تلك الرحمة التى جعلت طفلاً كاسماعيل عليه السلام، يضرب الأرض بقدمه الصغيرة فيخرج ماء زمزم، بعد أن هرولت أمه عليها السلام بين الصفا والمروة سبعة أشواط وهى تبحث عن الماء، تأتى رحمة الله لتجعل الماء يخرج من ضربة بقدم طفل صغير، فيتشقق الصخر ويخرج منه الماء.

تلك هى المعجزة الكبرى التى يريدنا الله أن نعيش معها، فإذا وقفت أمامنا

الأسباب فأمامنا الطلاقة الكبرى لقدرة الله نلجأ إليها، ولذلك قال الله - سبحانه وتعالى- فى كتابه العزيز **«أمّن يجيب المضطر إذا دعاه»** سورة النمل - الآية ٦٢.. وإذا تأملنا هذه الآية.. نجد أن الله سبحانه وتعالى استخدم لفظ (المضطر).. المضطر ذلك الذى تخلت عنه الأسباب - أسباب الدنيا - ووقف كل شيئ حائلاً بينه وبين ما يريد، حينئذ لا تجدى الأسباب معه فيقول سبحانه وتعالى، إذا تخلت عنك الأسباب فلا تيأس ولا تعتقد أن كل شيئ قد ضاع، بل ارفع يديك إلى السماء وقل يارب وساعتها تتفتح أبواب السماء، وتتدخل القدرة لتحقق لك ما تريد.

وهذا ليس غريبا عنا.. عن حياتنا العادية، وليس كلاما يقال دون أن يكون له واقع فى الحياة، فلو استعرض كل منا شريط حياته لوجد أن فيه طلاقة القدرة.. كم منا واجه مشاكل بلاحل، وربما ظل ساهراً ليالٍ طويلة يقلب عقله ويعمل فكره ولا يستطيع أن يصل إلى الحل، ثم فجأة تتغير كل ما حوله ليجد الباب مفتوحا من حيث لا يدرى ولا يحتسب، ويأتى الحل ميسراً سهلا من أشياء لم تكن تتوقعها، ولا تظن أنها ستحدث، كل منا مر بذلك، وكل منا رأى فى حياته مرة أو مرات قدرة الله سبحانه وتعالى وهى تزيل ظلما ما كان يحسب أن يزول، أو تُحل مشكلة لم يكن يعتقد أن لها حلا، أو تأتى بشيئ لم يكن يحلم به، كل هذا حدث لنا جميعا.

يريد الله سبحانه وتعالى أن يملأ النفس المؤمنة برحمته، بحيث تواجه مصاعب الحياة وفى قلبها شعلة إيمان لا تنطفئ، هذه الشعلة هى أمل متصل بالله سبحانه وتعالى «هو على هين» فالصعاب مهما بلغت فهى على الله شيئ هين، وهى أمام قدرة الله سبحانه وتعالى لا شيئ، فلا يدخل اليأس إلى قلب الإنسان أبداً، ولا تحطم الحياة معنوياته فتدفعه إلى الجنون والانتحار، ولعل ارتفاع نسبة الجنون والانتحار فى الدول المادية، وانخفاضها فى الدول التى تتمسك بالدين هما خير دليل على الحياة الطيبة التى يعطيها الله سبحانه وتعالى لعباده المؤمنين.

والنقطة الثانية هى أن طلاقة القدرة تفسر لنا ما يحدث فى الكون من أشياء لا

تتفق مع الأسباب، فنحن نعيش فى كون تحكمه طلاقة القدرة مع الأسباب.. ولذلك فاننا نرى أحياناً أن إنساناً يملك كل أسباب القوة من جيش وشرطة وأجهزة دولية، ثم يأتى إنسان ضعيف لا حول له ولا قوة، فنجد قدرة الله سبحانه وتعالى تأتى إلى هذا القوى فتزيله من مكانه، وتأتى بهذا الضعيف وتضعه مكانه، ذلك يحدث أمامنا فى العالم كل يوم، ولو طبقنا الأسباب لقالت عكس ما يحدث، ولكن الأسباب شيئ، وطلاقة القدرة شيئ آخر.

فإذا جئنا لأمة كافرة، كالاتحاد السوفيتى - مثلاً - نجد الله سبحانه وتعالى سلط عليها ما يهلكها، أحيانا بين يوم وليلة وأحيانا على فترة من الزمن، فإذا نظرنا إلى الاتحاد السوفيتى بعد أن كان هو مخزن الحبوب فى العالم وبعد أن كانت أوكرانيا تنتج من القمح ما يزيد عن حاجة الاتحاد السوفيتى بكميات هائلة، نجد أن البركة قد رفعت منها، واصبح الاتحاد السوفيتى يستورد كميات كبيرة من القمح من الخارج، ولا يجد رغيف الخبز الذى يقتات به، وكذلك نجد فى كل الدول التى تحارب الدين، تملؤها الكوارث ويذهب عنها الأمن والأمان، ويصبح رزقها ضيقاً وأمنها معدوماً، والشقاء يخيم على كل من يعيش فيها، كل ذلك يتم بطلاقة القدرة دون الأسباب التى ربما قد تؤدى إلى عكس ذلك، بل أنه فى بعض الأحيان، تقوم هذه الدول بمشاريع تجند لها دعايتها، وتقول أن بها خيراً وفيراً، وأنها ستحقق الرفاهية والعيش الرغد، ثم تتم المشاريع فإذا بها تأتى بعكس ما قيل عنها تماماً، وإذا بها وبال.. فى وبال.. فى وبال.

وطلاقة قدرة الله سبحانه وتعالى تجعله هو الوحيد، وتجعل كل ما حوله متغيراً، وتأتى أنت لترى الدول الكبيرة التى لم تكن تغرب الشمس عنها وقد تضاءلت وربما اتمحت من خريطة الكون، وربما اصبحت عاجزة عن حماية نفسها، مع أن الشعب هو الشعب لم يتغير، والقدرات هى القدرات لم تتغير، ولكن الله سبحانه وتعالى هو الذى غير كل شيئ.

والنقطة الثالثة فى طلاقة القدرة أن كل شيئ فى الكون قد جعل الله له مولدا

فى طلاقة قدرته.. فطلاقة القدرة هى التى تكشف أسراراً لكل جيل اخفيت عن الجيل الذى سبقه.. فالله له عطاء جديد لكل جيل من البشر، وإذا أردنا أن نستطرد فى شرح هذه النقطة، تقول أن بعض الناس يعجزه تفكيره عن فهم تفسير للآية الكريمة **«وإذا مرضت فهو يشفين»** سورة الشعراء - الآية ٨٠، وبعضهم لا يذهب إلى الطبيب تطبيقاً لهذه الآية، والبعض الآخر يذهب إيماناً منه بأن الشفاء يحدث على يد الطبيب، ولكن الذى يحدث أن لكل شفاء أجلا، فإذا جاء الأجل أو الموعد كشف الله للطبيب المرض فيتحدد الداء والدواء ليتم الشفاء، والذى يحدث عادة - وهذا فى حياتنا - اننا نذهب إلى أشهر الأطباء وأكثرهم علماً وفنا فلا يتم على يديه الشفاء، ثم نذهب إلى طبيب صغير أو مبتدئ فيعرف الداء ويكتب الدواء، ونحن حين يحدث هذا نتعجب، ذلك لأن الذى حدث يخالف الأسباب فى الأرض، فالمفروض أن الطبيب الأكثر علماً هو الذى يكتشف الداء بحكم عمله وخبرته، والطبيب المبتدئ لا يمكن أن يكتشف ما عمى على أستاذه، تلك هى أسباب الأرض، ولكن الحقيقة، أو ما يحدث وما نشاهده جميعا ونعرفه هو عكس ذلك، والحقيقة أن علم الطبيب المبتدئ لا يمكن أن يزيد عن علم أستاذه ولا خبرته، ولكن الذى حدث أن وقت الشفاء قد جاء، فيسر لنا الله الطبيب الذى عرف الداء وكتب الدواء، وإذا لم نذهب نحن إلى الطبيب فأحياناً يحدث ذلك بطريق ما نسميه «الصدفه» وهو أن يجمعنا مكان مع أحد الأطباء، ويدور الحديث عن المرض ويقوم الطبيب بتشخيص الداء وكتابة الدواء.

وكما يقال عن المرض، يقال عن كل كشف من أسرار الأرض، يريد الله سبحانه وتعالى أن يمكن منه خلقه، فكل كشف له ميلاد عند الله وفى علمه، والذى يحدث أنه عندما يأتى وقت هذا الميلاد إما أن يصادف هذا الكشف عالما يبحث عنه فيكشفه الله - سبحانه وتعالى - له، وإذا لم يصادف هذا الكشف عالماً يبحث عنه، كشفه الله -سبحانه وتعالى - لعالم يبحث فى موضوع آخر.. ولذلك نرى كثيرا من الأبحاث

العلميه التى تبدأ بالبحث عن كشف ثم تنتهى إلى كشف آخر مختلف تماماً، لم يكن يدور فى ذهن العالم، بل حدث بطريق ما نسميه الصدفه، ولو تتبعنا الكشوف العلمية وما يحدث فيها، لوجدنا أن اكتشافات كثيره تمت دون أن يكون هناك باحث عنها بالذات، بل بدأ البحث عن شيئ وانتهى إلى شيئ آخر.

وهذا يكون العطاء فى كثير من الأحيان بمولد وميقات من الله سبحانه وتعالى، ولكن الله سبحانه وتعالى لا يطلعنا على ذلك، فأحيانا نأخذ الأسباب، وأحيانا نرى أن هناك أشياء يحار العقل فيها فننسبها للصدفه، أو للحظ، أو لكل هذه المسميات.

النقطة الرابعة أن الإيمان بطلاقة القدرة هو أساس الإيمان وركيزته والذى لا يؤمن بطلاقة القدرة لا يمكن أن يؤمن بالغيب فالإنسان الكافر، أو الذى ينكر وجود الله يأخذ بالأسباب وحدها، فما هو ظاهر أمامه يصدقه، وما هو غيب عنه يكذبه، فإذا حدثته عن الجنة والنار، والثواب والعقاب، وما أعده الله سبحانه وتعالى للمؤمنين من عباده سخر منك، ولكن الذى يؤمن بطلاقة قدرة الله هو الذى يفهم معنى أنه سيكون فى الجنة مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، ولذلك فاننا لكى نؤمن بالآخره، ونؤمن بقدرة الله على بعث الموتى، ونؤمن بما يعدنا الله من ثواب أو عقاب يجب أن نؤمن أولاً بطلاقة القدرة، ونعرف أن الله – سبحانه وتعالى – لا تحده قيود ولا حدود، ولا شيئ عنده يقع تحت كلمة مستحيل، وأنه مادام قد وعد، ووعده الحق، فإنه سيتحقق، وأنه قادر على أن يخلق جنات فيها مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، وقادر على أن يعطى الإنسان نعيماً أبدياً، ويعطيه عذاباً أبدياً، وقادر على أن يسجل أعمال كل البشر، وعلى أن يواجههم بأعمالهم فى الآخرة، تلك كلها لا تخضع لقانون السببيه، ولكنها تخضع لطلاقة القدرة التى حرص الله سبحانه وتعالى على أن يبينها لنا قولاً وفعلاً.. وبعضها فى حياتنا اليومية، فنحن نعيش مع طلاقة القدرة كل يوم ليزداد إيماننا بالغيب الذى حُجب عنا ونحن حين نجد طلاقة القدرة التى تصطدم

بالعقول وتحيرها، إنما يزداد إيماننا بأن الله سبحانه وتعالى فوق قدرة العقول كلها.

تلك حقيقة يجب أن ننتبه إليها، فطلاقة القدرة أساس إيمانى لكل شيئ أخبرنا الله عنه، وجعله غيباً عنا، وكل شيئ يكشفه الله سبحانه وتعالى لنا جيلاً بعد جيل، ذلك أن هذه الأشياء التى تزيدنا يقينا بقدرة الله، يجب أن تزيدنا خشوعاً له، فكل يوم يضاف إلى علمنا أسرار كانت موجودة فى هذا الكون، ولم نكن نعرف عنها شيئاً، وهذه الأشياء فى كثير من الأحيان تصحح مفاهيم خاطئة كانت موجودة على أساس أنها علم أرضى.

ولو أننا قمنا بحصر ما كشفه لنا الله سبحانه وتعالى من أسرار الكون لوجدنا أن هذا الجيل يجب أن يكون أكثر عباده وخشية لله من الأجيال التى سبقته لأنه وصل إلى أسرار فى الكون جعلته يعرف قدرة الله وعظمته، والله سبحانه وتعالى يقول :

«حتى إذا أخذت الأرض زخرفها وازينت وظن أهلها أنهم قادرون عليها أتاها أمرنا ليلاً أو نهاراً» سورة يونس – الآية ٢٤.

ومعنى هذه الآية الكريمة، أن الله سيكشف من أسرار، كونه للبشر ما يريهم به دقة صنعه وأحكام خلقه، ولكن البشر لن يأخذوا هذه الأشياء على هذا المعنى، بل سيركبهم الغرور، ويحسبون أنهم هم الذين صنعوا، وهم الذين اكتشفوا، ويجعلهم هذا الغرور يظنون أنهم قد وصلوا إلى العلم الذى يمكنهم من أن يتحكموا فى كل شيئ فى الأرض، حينئذ يأتى قضاء الله وتقوم الساعة، ولقد استخدم الله سبحانه وتعالى كلمة «ظن» لحكمة بالغة.. ذلك أن الله هو الذى سخر للإنسان كل ما فى الكون، وهو الذى كشف له عن الآيات فى هذا الكون، ولكن بدلاً من أن ينسب الإنسان الفضل لصاحبه، نسبه لنفسه، ليس حقيقة، ولكن «ظن» فالعلم كلما تقدم، اعتقد الإنسان أن هذا عطاء من ذاته، وأنه هو الذى سخر هذه الأشياء لنفسه، وهذا الظن يجعله يعتقد أنه قد سيطر على الأرض تماماً، وأصبح قادراً عليها وعلى كل القوى فيها، حينئذ تأتى

الساعة، وتتعطل القوانين كلها، ويعرف الإنسان إن ما وصل إليه هو من فضل الله، وأن الله إذا كان قد خلق لنا الأسباب وجعلها خاضعة لنا، فيجب ألا نتغير وننسى طلاقة القدرة.

ولقد قال الله سبحانه وتعالى : **«سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق»** سورة فصلت – الآية ٥٣.

والقرآن الكريم متعبد به.. لا يتغير ولا يتبدل حتى قيام الساعة ولذلك فإن كل جيل سيقرأ «سنريهم».. و«السنين» مستقبلية والمعنى أن كل جيل يرى مالم يره الجيل الذى سبقه، ليس فقط من آيات الله فى الأرض، بل فى الآفاق، وفى النفس البشرية، ولعل التقدم العلمى فى كشف الآفاق وفى معرفة الأسرار المختلفة للجسم البشرى مصداقاً لهذه الآية الكريمة، ويجب أن نعرف أنه لا يقدر على العطاء المستقبلى إلا الله سبحانه وتعالى فلا يمكن مهما بلغت أنا من العلم أن أتنبأ بما سيحدث مستقبلاً، ولأجيال قادمة، ولكن الله سبحانه وتعالى هو القائل وهو الفاعل، ومن هنا فانه يستطيع أن يعطينا صورة يقينية عن المستقبل.

والنقطة الخامسة – فى قضية طلاقة القدرة – أن الإنسان حين يتمسك بالأسباب، فإنه يعطى نفسه قدرات ليست فيه ولذلك فإن الله سبحانه وتعالى حين يرى عبدا من عباده يأخذ بالأسباب، فإنه يتركه ليتفاعل مع الأسباب التى اعتقد أنها قد أعطته.. وفى هذه الحالة تسقط عنه الأسباب فيذهب العطاء.

ولو أن الإنسان كان قد ملك الأسباب حقيقة وهى التى تعطى – لمازالت عنه هذه الأسباب وذهب العطاء، ولقد أعطانا الله سبحانه وتعالى مثلاً لذلك فى القرآن الكريم فقارون قال **«إنما اوتيته على علم عندى»** سورة القصص – الآية ٧٨. وصاحب الجنتين فى سورة الكهف **«قال ما أظن أن تبيد هذه أبداً»** سورة الكهف – الآية٣٥.. والذين أرادو أن يأخذوا حق الفقراء من ثمر الحديقة قالوا **«أن لا يدخلنها اليوم عليكم مسكين»** سورة القلم

وكان فى هذا كله الهلاك فخسف بقارون وبداره الأرض، وأحيط بثمر للجنتين.. وذهب خير الحديقة وأصبحت كالصريم.. كان ذلك سبباً فى زوال النعمة، لأن المنعم عليه أخذ ظاهريه الأشياء دون حقيقتها وهى طلاقة القدرة التى أعطت، والتى أخذت.

وطلاقة القدرة تعنى أن الله واحد أحد، والقول بأن الله أحد معناه، أنه يجمع من الصفات مالا يمكن أن يجتمع لبشر أو مخلوق.. بل للخالق وحده سبحانه وتعالى.. وهو الذى يملك وحده طلاقة القدرة، يقول للشيئ كن فيكون بلا أسباب، وكل منا له حظ من العلم، ولكن الله سبحانه وتعالى عليم، أى لم يعلمه أحد، وإنما العلم من ذاته ويَعْلَم مالا نعلم.

إذن فقولنا أحد، هو تنزيه لله سبحانه وتعالى أن يكون هناك شبيه له، فالشيئ الواحد ممكن أن يكون له شبيه، والشيئ الواحد ممكن أن يكون من مجموع الأشياء، فأنت تقول عن عدة أشخاص أنهم يتحدثون بلسان واحد، أى أن كل واحد منهم يكرر نفس الكلام الذى يقوله زميله، ولكن «الاحديه» تنفى هذا كله عن الله.. وأنت تقول للشيئ المكون من عدة أجزاء شيئ واحد، فالكرسى مثلا يكون من خشب وجلد ومسامير ولكنه شيئ واحد، هو كرسى، والله سبحانه وتعالى منزه عن ذلك تماماً، ذلك أن الله لا يمكن أن يكون مكوناً من أجزاء متداخله، تبارك وتعالى وتنزه عن هذا، وإلا فأى واحد من الثلاثة خلق الآخرين، ومن الذى وجد أولاً وإذا كان الله سبحانه وتعالى وجد أولاً، فباقى الأجزاء هى من خلقه وليست جزءا منه، ومن هنا تصبح من مخلوقات الله وليست جزءا من الذات، والقول بأن الله سبحانه وتعالى، مكون من عدة أجزاء ينفى الكمال عن الله إذا انفصلت ويقال عنها أجزاء متداخله عن الله سبحانه وتعالى.

إذن فالقول بأن الله واحد، هو قول فيه تجاوز، ولكن صحيح القول أنه أحد، ليس كمثله شيئ ولا يحتاج لأى خلق من خلقه بل هو الله الأحد الذى لا شبيه له، ولا

يرقى شيئ مهما بلغ إلى قدرته وعظمته.

والله هو الصمد.. أى القوى الذى يُقصد لذات قوته، أى أن الله سبحانه وتعالى وحد الأحد الذى ليس كمثله شيئ.. الصمد الذى يُقصد إليه فى الحوائج، فأنت تتجه إلى الله - سبحانه وتعالى - إذا أردت شيئا واستعصى عليك، وأنت تتجه إما اضطراراً، وإما اختياراً، وهناك خلق مسخر لله لا اختيار لهم فى الاتجاه إلى الله أو لغير الله.. فالملائكة مثلاً لا يعصون الله، ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون، ليس اختياراً، ولكن اضطراراً، فهم مخلقون لهذا، وكذلك الشمس والقمر، وكل الأشياء التى سخرها الله سبحانه وتعالى. فهى مُسخرة لما خلقت له، فالشمس لا تستطيع أن تختار يوماً تشرق فيه ويوماً تغيب، والأرض لا تستطيع أن تقول سأتوقف عن الدوران، والنجوم والقمر والجبال والبحار، كل شيئ مسخر لا يملك قدرة الاختيار، ومن هنا فهو متجه إلى الله، يقوم بدوره الذى خلقه الله سبحانه وتعالى له.

يأتى بعد ذلك الإنسان، وقد أعطاه الله حرية الاختيار، وجعله قادراً على أن يفعل أو لا يفعل، وأن يتجه إلى الله، أو يحاول إنكار وجود الله، وذلك فى فترة حياته الدنيا فقط.

إذن فقول الله - سبحانه وتعالى -، الله الصمد وضع أمامنا الصورة الصحيحة للعقيدة، فما دام الله أحدا، فليس هناك غيره.. ومادام الله الصمد، فهو مقصود فى الحوائج، ليس هناك من يقوم بديله، فلا وجود على الحقيقة إلا وجوده، ولا فاعل إلا فعله، والله - سبحانه وتعالى - لا ينقص من ملكه أن يعطى كل إنسان ما يشاء، ولا أن يكفر الناس جميعا فالله - سبحانه وتعالى - غنى عن العالمين.. وهو القادر على أن يهب ويأخذ وأن يجعل الضعيف قوياً، وهذا هو الفرق بين عطاء الله وعطاء البشر.. وفرق آخر.. أن الإنسان إذا اعطى لا يستطيع أن يسترد عطاءه، فأنت إذا أعطيت شخصاً مالاً، وتنكر لك فأنت لا تستطيع أن تسترد هذا المال مادام هذا المال قد أصبح مملوكاً له..

وأنت إذا كنت طبيباً وأعطيت الإنسان دواء أزال مرضه ثم رفض أن يدفع لك نفقاتك فأنت لا تستطيع أن تسلبه نعمة الصحة، ولكن الله سبحانه وتعالى هو القادر أن يُعطى ويأخذ، فهو إذا أعطى النعم وكفر الإنسان بها، يستطيع أن يجعل الغنى فقيراً.. ويجعل السليم مريضاً، وإذا قابل الإنسان النعمة بالشكر، زاده الله وأعطاه.

والله سبحانه وتعالى، إذا أعطى إنساناً أسباب الحكم فى الأرض فبغى على الناس وظلمهم، فإنه يسلط عليه من هو أظلم منه، فينتقم منه، فالله لا يسلط على الظالم رجلاً طيب القلب مؤمناً.. ذلك أن اللين والرحمة وحب العفو وكظم الغيظ ومواجهة الإساءة بالإحسان، وهو ما أمرنا الله به، يقف بين العبد المؤمن وبين القصاص العادل من الظالم، ولكن الله يسلط على الظالم من هو أشد منه ظلما، حتى يكون القصاص رهيبا.. ويأتيه الله من حيث لا يدرى ولا يحتسب.

وطلاقة القدرة لله سبحانه وتعالى هى نعمة لا تبارى على خلقه، فالله سبحانه وتعالى لا هوى له، كلنا عبيده.. لا فضل لعربى على عجمى إلا بالتقوى.. ومن هنا.. فإن طلاقة القدرة تصحح المسيره فى الكون.. ذلك أن الله دائما مع الضعيف ضد القوى، ومع العاجز ضد القادر، ولو لم توجد طلاقة القدرة، وبقيت الأسباب وحدها تُعطى.. لملأ الفساد الأرض.. ذلك أن الذى يأخذ بالأسباب يمتلئ غروراً بقدرته على خلق الله، ويأخذ حق الغير.. ويحاول أن يملك ما لا يستطيع أن يفنيه أو يستخدمه طول حياته.. ومن هنا فإن قضية الحياة نفسها تفسد.. ولكن الله سبحانه وتعالى يزيل الأسباب، فيصبح القوى ضعيفاً والغنى فقيراً.. والعزيز ذليلاً.

إذن فالله سبحانه وتعالى خلق الكون، ومنح كل من فى الكون رزقا وعطاء، الكافر منهم والمؤمن.. والعطاء من الله سبحانه وتعالى لكل فرد هو ابتلاء.. سواء أكان هذا العطاء خيرا أم شرا، فأحيانا يكون ما نحسبه شراً هو خير لحياتنا من مئات الأشياء التى قد نفرح عندما تحدث.. والله سبحانه وتعالى قد أعطانا الأسباب لتسير الحياة فى

الكون، ولكنه فى نفس الوقت.. بقيت طلاقة القدرة لله سبحانه وتعالى.. ذلك حتى لا ننسى الله ونعبد الأسباب.. فالكون يمضى كله بالأسباب.. ثم تأتى طلاقة القدرة فى حدث من الأحداث.. لتُلفت الناس إلى أن معطى الأسباب موجود وقادر.. وأن الأسباب التى خلقها الله سبحانه وتعالى.. لا يمكن أن تكون قيداً على قدرته.. وأننا يجب أن نلتصق فى حياتنا بالله.. وليس بالأسباب التى مكن الله فيها عدداً من خلقه.. وفى هذه الحالة نتذكر أن ما أجراه الله علينا على يد عبد من عباده.. إنما هو من الله أولاً، قسمه الله لنا ثم أجراه على يد هذا العبد.. فلا ننسى المنعم ونعبد السبب.. ولنعلم أيضا حينما يحيط بنا اليأس.. ونصل إلى شيئ لا تستطيع الأسباب أن تجد له حلا.. وتقف قدراتنا عاجزة أمامه.. نتذكر أن طلاقة القدرة موجوده، وفى هذه الحاله لا يدخل اليأس إلى قلوبنا ابدا، لأن قدرة الله بلا حدود ولا قيود.

وطلاقة القدرة تصحح المسيره.. وتذكر الناس بعدم الابتعاد عن الله.. وتتدخل لتنصر المظلوم على الظالم، وغير القادر على القادر وتقتص للضعيف من القوى.

والله أحد لا شريك له.. قادر على أن يفعل ما يشاء وقتما يشاء.. مقصود فى كل الحوائج.. بيده الخير كله.. يستطيع أن يعطى كل إنسان حاجته، دون أن ينقص ذلك مما عند الله شيئاً.. وهو فى قوته لا يستعصى عليه أحد.. مهما بلغ جاهه أو سلطانه.. ولذلك فإننا يجب ألا نخاف الدنيا كلها.. مادمنا مع الله.. ومادمنا مع الحق.

والله أحد ليس كمثله شيئ.. لا شريك له.. يعلو ليكون نداً لله جل جلاله.. وكل الناس بدرجاتهم وجاههم فى الدنيا هم عبيد الله سبحانه وتعالى.. فالكل عبد الله.. والكل آتيه بعد الحياة.

وطلاقة القدرة تعطينا الشجاعة فى هذا الكون لكى نواجه كل ظالم.. ونقف مع كل مظلوم.. ونأخذ جانب الحق فإذا حاول أحد أن يخيفنا بالأسباب أو ظاهر الحياة الدنيا من جاه أو سلطان أو مُلك أنعم الله به على عبد من عباده.. فالنتذكر أن الله

سبحانه وتعالى كما أعطى يستطيع أن يأخذ، وكما عز يستطيع أن يذل.. وأن نقف مع الحق.. ولا تغرنا الأسباب لأنها زائلة.

وطلاقة القدرة من روح الإيمان.. لأنها تجعلنا نؤمن يقينا بما يستطيع الله أن يكافئ به المؤمن فى الآخرة من نعم دائمة.. مما لا عين رأت.. ولا أذن سمعت.. ولا خطر على قلب بشر.. وتذكرنا دائماً بأن الله وحده هو القادر.. والله وحده هو الفعال.

الفصل السادس

الاستعانة بالقوات الأجنبية وموقف الإسلام منها

الذين كانوا يرددون مخاوفهم من بقاء القوات الأجنبية فى المنطقة.. أقول لهم أن هذه القوات تنسحب الآن بعد أن نجح اختيار العقلاء والحكماء من حكام العرب بالاستعانة بهم.

خالد محمد خالد

في هذا الفصل يتحدث خمسه من الكتاب الإسلاميين والفقهاء حول موقف الإسلام من قضية الاستعانة بالقوات الأجنبية لحماية الدول الإسلامية.

يؤكد الكاتب الكبير الأستاذ خالد محمد خالد أن الاستعانة بالقوات الأجنبية لمواجهة شرور صدام أمر واجب وهو الموقف السليم الذى اختاره الحكماء والعقلاء من الحكام.. فيرد الأستاذ خالد محمد خالد على الجبهه المعارضة للاستعانة بالقوات الأجنبية.

ويناقش الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر هذه القضية موضحاً أن استنجاد الدول الإسلامية بالقوات والجيوش الأجنبية نتيجة حتمية ترتبت على ما فعلته العراق بالكويت والتهديدات التى أطلقها صدام حسين ويقول الشيخ جاد الحق أن ما فعله صدام حسين أجهض صلاحيات الأمة العربية للنمو والتقدم.

ويعرض فضيلته لمجموعة من الأحاديث النبوية الشريفة التى تتناول أحكام الإسلام فى من يروع المسلمين ويخيفهم.

ويستعرض فضيلة الشيخ محمد سيد طنطاوى مفتى الديار المصرية الأحكام الثلاثة الشرعية التى يجب تطبيقها عندما تختلف فئتان مسلمتان.

ويقول الشيخ عبد المنعم النمر وزير الأوقاف المصرى الأسبق لماذا لم يحتج المعارضون لوجود القوات الأجنبية على حمايتها للدول العربية أيام حرب العراق مع إيران.. ويعلن الشيخ النمر الأسباب.

ويتحدث الدكتور أحمد عمر هاشم عن موقف الإسلام من اقتتال المسلمين.. ويؤكد على شرعية وحق الكويتين والسعوديين فى الدفاع عن أرضهم وواجب كل مسلم فى الدفاع عن كل شبر فى أرض الإسلام.

منطقى الواضح والمستقيم فى هذه القضية – الاستعانة بقوات وجيوش أجنبية لحماية المقدسات والدفاع عن الدول العربية والإسلامية – واضح ومستقيم.. ويتمثل هذا المنطق الواضح المستقيم فى سؤال أو جهه للمعارضين والرافضين لوجود قوات وجيوش أجنبية فى الأراضى العربية.. والسؤال هو كلمه واحدة.. ما البديل ؟!

إذا قالوا : البديل جيوش عربية وإسلامية، ضحكت بملء فمى وقلت إنا لله وإنا إليه راجعون.. لاتزال عقولنا فى غيبوبة وإغماء.. أين هى الجيوش العربية والإسلامية التى توقف صدام حسين عند حده – صدام حسين الطاغيه الذى غزا بلداً صغيراً واستحوذ على كل مقدراته فى ساعات معدودات وأصر إصراراً غبياً على ألا تعود الكويت إلى شرعيتها ولا إلى استقلالها.. ثم ذهب فى طغيانه إلى حد التهديد المزهو والمختال والمغرور بقدرته على أن يملأ منطقتنا العربية كلها بالجثث التى تسقط صرعى اسلحته الكيماوية.. فهل هناك جيوش عربية إسلامية تستطيع مواجهة هذا الطاغية ؟ لا سيما بعد ما مزق من الصف العربى خمسة رؤساء، واعتزل الساحة معهم جيوشهم وقوى الرفض فيهم ومعهم سادسهم أبو عمار، الذى شحن إلى بغداد خمسين ألف شاب ليقاتل بهم صدام خصومه ويغتال بهم رافضيه.

من الواضح جداً أنه قد تصور أنه ليس هناك قوة عربية مسلحة تستطيع أن تهز شعرة واحدة من شاربه.. ولم يتبق هناك فى الحقيقة سوى واحد من احتمالين.

الاحتمال الأول : كان ترك صدام يعبث فى أرض العرب فساداً يلتهم الكويت صباحاً وأبو ظبى مساء وبقية دول الخليج ثم يحاصر السعودية ويفرض عليها بهتانه وسلطانه.

الاحتمال الثانى : كان أن نستنجد بمن يملكون القدرة وحدهم على مواجهة كبريائه وفجوره وعدوانه.

ولقد اختار العقلاء والحكماء من حكام العرب الموقف الثانى الذى لم يكن هناك بديلا له. ونحمد الله أنه حقق نتائجه.

أما أولئك الذين يرددون مخاوفهم من بقاء القوات الأمريكية فى المنطقة.. أقول لهم : لو أن أمريكا جاءت وحدها فلربما كان لهذه المخاوف ما يبررها.. لكن أن تجيىء أمريكا وفرنسا وألمانيا وبريطانيا ويرسل الاتحاد السوفيتى بعض قواته وكذلك كثير من دول أوروبا.. أن يجيىء هؤلاء جميعا ليحتلوا السعودية ودول الخليج.. فهذا وهم عريض.. أو هو مغالطة يلجأ إليها المباركون لجريمة صدام وهاهم بعد هزيمة صدام وتحرير الكويت قد بدأوا فى الانسحاب.

إن وجود قوات دولية لتحمى دولة إسلامية عجز المسلمون عن حمايتها أمر لا أقول جائزاً.. بل واجباً.. لأن هذا هو رأى الشريعة الإسلامية، حين يغير على المسلمين أو على بعضهم وحش متسلط فيحتل أرضهم، وينتهك أعراضهم، ويسرق أموالهم، ويقتل رجالهم وشبابهم، ثم لا يجد هذا البلد المغار عليه قوة إسلامية كافية لإنقاذه، ووقف الطاغيه عند حده، فعندئذ يكون من حقه، بل من واجبه أن يستنصر بغير المسلمين، ويطلب عونهم وهذا ليس رأى الشريعة الإسلامية وحدها.. بل هو نداء الفطره السوية والفهم السديد والعقل الرشيد.

وفى رأيى أن الذين يتشدقون بوجود القوات الدولية باطلاً أنهم فى الحقيقة كانوا يريدون أن يمكنوا لصدام حسين فى الأرض التى غزاها ونهبها ظلماً وعدواناً.. ولكن لأنهم أجبن من أن يأخذوا هذا الموقف جهاراً وعلناً، فقد راحوا يتوارون وراء حجة وجود قوات دولية ليخدعوا الناس وما يخدعون إلا أنفسهم وما يشعرون. وقد انقشعت الغمة وهاهم يحاولون تبرير مواقفهم السيئة ويطالبون بالنسيان والمصالحة العربية.

والدليل على حكم الشريعة فى الذى ذكرته واضح.. وقد قلته مراراً.. أن الرسول صلى الله عليه وسلم بعد أن فقد عمه أبا طالب وزوجته خديجة، واشتد عليه أذى قريش وطغيانها ذهب إلى الطائف يلتمس العون والحماية من كبار المشركين فيها، ولما رفضوا

أن يمنحوه هذه الحماية عاد إلى مكه فلقى اثنين من زعمائها طلب منهما أن يحمياه حتى يبلغ رسالة ربه.. فاعتذروا.. ثم التقى بثالث وهو «المعطم» وكان مشركاً وثنيا فطلب منه الرسول صلى الله عليه وسلم أن يحميه من أذى قريش فقبل وامتشق سيفه ونادى أولاده أن احملوا سيوفكم واتبعونى.. وأخذ الرسول صلى الله عليه وسلم معه إلى الكعبه ونادى زعماء قريش الحامين حولها قائلا :

«يا معشر قريش إنى أجرت محمداً فلا يقربنه أحد بسوء» هذا رسول الله الأعظم صلى الله عليه وسلم ومعه كل سلطان الله وحمايته وحفظه.. ومع ذلك لم يجد بأساً فى أن يطلب حماية المشركين.

هذا.. والامهات من كتب القصة الإسلامية تحكى لنا آراء الفقهاء وعلى رأسها الرأى الذى ذكرته.

وهناك بُعد آخر خطير فى قضية الرافضين الإستعانه بالقوات والجيوش الأجنبية.. لأنهم لا يريدون للمسلمين والعرب أن يركزوا تركيزا كاملاً على جريمة صدام ويريدون صرف الآراء وتشتيت الجهود بالبحث فى قضايا فرعيه.. والأفضل أن نركز تركيزا كاملاً على الجريمة وطريقة الخروج منها.. ولو أن القوات الدولية المعسكرة فى أراضينا العربية استطاعت أن تقضى فى ساعة من نهار على كل المخزون العراقى من الرؤوس المعبأة بالاسلحة الكيماوية.. لكنت أول من يدعو لها بالتوفيق.. إن الشر هو الشر.. والجريمة هى الجريمة.. والشرير هو الشرير.. والمجرم هو المجرم.. وإن لم تلق الجريمة ومجرمها، والشرور وصاحبها بحسم وحزم.. فقد مهدت للباطل أن يسود.. وللحق أن ينهار ويندحر.

وعلى الذى لهم رأى فيما نحن فيه أن يقولو الحق أو يلوذوا بالصمت أما النفاق أو الخداع.. أما الكذب فلن يغنى عنهم من الله شيئا. وما هو رأيهم اليوم فى نتائج احتلال صدام للكويت – وقد انسحب وانكسر ولاقى من الذل والهوان ما لم يلقاه حاكم فى تاريخ البشرية ولماذا لا نسمع من يتغنى منهم بفلسطين والوحده العربية وصدام الذى قالوا عنه أنه سيحرر القدس عن طريق الكويت !!

الفصل السابع

الجهاد لا يكون
عدوانا على الجار المسلم

قد قضى الدفاع عن النفس وعن الأمة أن
سارعت جيوشها إلى الإحاطة بالباغى
حتى لا يمتد بغيه

شيخ الأزهر
جاد الحق على جاد الحق

إن الشعوب العربية الجارة للكويت فجعت بما فعله جيش العراق وترتب على هذا الاستنجاد بجيوش الدول العربية والإسلامية من الدول التى تملك الأسلحة المتكافئة.. ومع ما اعتدى به جيش العراق على الكويت.. فإنه لا ضير فى الاستنجاد بمختلف الجيوش من مختلف الجنسيات.. لأن هذا قائم على مبدأ الاتفاقات والمعاهدات الدولية.. ومن حقها أن تدافع عن نفسها وأن تحمى أرضها وحرماتها من هذا الشقيق الغادر الذى لم يرع عهداً ولا ذمة.

وكما حدث وقد إقتضى الدفاع عن النفس وعن الأمة أن سارعت جيوشها إلى الإحاطة بالباغى حتى لا يمتد بغيه أو تحاصره كما يحاصر الحريق.. إن الله سبحانه وتعالى قد اذن بقتال الباغى: «فقاتلوا التى تبغى حتى تفيىء إلى أمر الله».. ومع هذا فإن القوات العربية والإسلامية التى تنادت إلى مؤازرة باقى الدول التى تتعرض لشرور هذه الكارثة قد تعاونت على حصرها فى محاولة لإيقافها حتى يعقل القائمون بها مدى العائد والفاقد من هذه الفعلة النكراء.. ومن احتلال لشعب عربى مسلم له حرمة الجوار بقوة عسكرية تفوق عدته وعدده والتنكيل به ولينظر هؤلاء الذى يحاولون تفجير المنطقة وتدميرها بعد أن أنتهكوا حرمه بلد وشعب.. ماذا عاد عليهم من خير بما فعلوا من منكر؟ وماذا فقدت الأمة ؟ وهل يستويان ؟ اللهم لا.

أما عن ادعاءات صدام حسين بأن ما فعله هو جهاد ضد القوات الأجنبية التى دنست الأرض والحرمات.. أقول له : الجهاد لا يكون بغياً ولا عدواناً على الجار المسلم الشقيق.. كما أن الادعاء بأن القوات الوافدة قد دنست الأرض والحرمات ليس صحيحاً لأنها وافدة بأذن أصحاب هذه البلاد.. ولرد العدوان عنها.. وهى قوات مسلمه أو معاهدة.. والاستعانة بمثل هذه القوات أمر مشروع فى الإسلام.. بل أن من أسس الإسلام، ومن حق المسلم على المسلم أن ينصره ويرد الظلم عنه وكذلك الشأن فى المعاهد أيضا.

وما فعله صدام يتطلب الاستنجاد بالقوات من مختلف الجنسيات.. لقد أجهض صدام صلاحيات الأمة العربية للتقدم والنمو.. وأوقعها فى مجال التهلكة التى تأتى على الأخضر واليابس الذى نزل بقدرها بين الأمم.. وأفقدها وسائل التعاون والتراحم والمودة فيما بينها.. بيدها لا بيد الآخرين بأن شذ ونفر من قادتها عن الطريق القويم المستقيم فاجتاحوا بلداً وشعباً آمناً مطمئناً يؤدى واجبه نحو أمته فى كافة المجالات، وروعوا النساء والأطفال والشيوخ فى مهاجعهم فى غسق الليل.. وما كان هذا صنيع المسلمين.. والرسول صلى الله عليه وسلم يحذر من ترويع المسلم، فقال فيما رواه أبو داود «لا يحل لمسلم أن يروع مسلماً».. وفى حديث آخر - رواه البزار وغيره - قال : «لا تروعوا المسلم فإن روعة المسلم ظلم عظيم».. وفى حديث أبى هريرة الذى رواه الطبرانى : قال من نظر إلى مسلم نظرة يخيفه فيها بغير حق، أخافه الله يوم القيامة.. كما نهى رسول الليه صلى الله عليه وسلم عن أن يروع المسلم بالاشارة إليه بالسلاح فقال فيما رواه الشيخان : «لا يشير أحدكم إلى أخيه بالسلاح فإنه لا يدرى لعل الشيطان يترع فى يده فيقع فى حفرة من النار».. وفى رواية لمسلم عن أبى هريرة : من أشار إلى أخيه بحد يده فإن الملائكة تلعنه حتى ينتهى، وإن كان أخاه لأبيه وأمه».. وفى حديث أبى مسعود فيما رواه البخارى : «سباب المسلم فسوق وقتاله كفر».

فأين هذا مما أحدثه جيش العراق بالكويت من تدمير وتخريب وقتل وانتهاب للثروات وانتهاك للحرمات؟!

وأين هذا ما أحدثه صدام بشعب العراق وجيش العراق وأرض الكويت بعد أن حرق الزرع واليابس واشعل النيران فى خيرات البلاد، ووضع جيشه وشعبه فى مأساة لن ينساها له التاريخ.

الفصل الثامن

حماية البلاد والأرواح
واجب الحاكم فى الدولة الإسلامية

لا يجوز شرعاً أن يأتى حاكم من دولة أخرى فيفرض بالقوة ولايته وسلطانه على غير دولته

مفتى الديار المصرية
الشيخ محمد سيد طنطاوى

إن حماية أمن البلاد وصيانة الأرواح والأموال من أهم الواجبات على أولياء الأمور في كل دولة إسلامية.. وهم أعلم الناس بما ينفع أمتهم وما يضرها.. ولهؤلاء أن يستعينوا عند الضرورة – كأن تكون قوة اخوانهم المسلمين غير كافية لدحر العدوان المرتقب – بغير المسلمين.. لأن الضرورات تبيح المحظورات.. كما أن من المقرر شرعاً أن الضرورة تقدر بقدرها.

ونحن نرى أن من الأحكام الشرعية الصحيحة ما قام به علماء وقضاة المملكة العربية السعودية من تأييد لخادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز فيما اتخذ من اجراءات لحماية أمن المملكة ولمواجهة ما يتوقع من عدوان.

إن حكم الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم في هذه الأحداث واضح وضوح الشمس لا لبس فيه ولا خفاء.. فهناك ٣ أحكام شرعية يجب تطبيقها.

الحكم الأول.. أنه على المسلمين وحكامهم أن يتدخلوا للصلح بين الفئتين المختلفتين أو المختصمتين.

الحكم الثاني.. أنه إذا بغت إحداهما على الأخرى وأصرت على عدم قبول الصلح.. فعلى المسلمين وحكامهم أن يقاتلوا هذه الفئة بأن يكلفوا جيوشهم بالقتال، وإذا لم يفعلوا ذلك كانوا معطلين لحكم الله تعالى وحكم رسوله صلى الله عليه وسلم.

الحكم الثالث.. إذا رجعت الفئة الباغية إلى الصلح يتدخل المسلمون للصلح بينهما بالعدل.

ولا يصح لدولة مسلمة بينها وبين دولة أخرى – مسلمة أو غير مسلمة – عقد أن تعتدى عليها.. وقد كان بين معاوية وبين الروم عهد.. فلما انقضى أراد أن يغير عليهم.. فإذا رجل على فرس يرفع صوته ويقول : «الله اكبر وفاء لا عداء» وإذا هو عمرو بن عبسه، فسأله معاوية : ما شأنك ؟ .. فقال : سمعت الرسول صلى الله عليه وسلم يقول: من كان بينه وبين قوم عهد فلا يعلن عهداً ولا يشدنه حتى يمضى أمره،أو ينذر إليهم على سواء، فلما سمع معاوية ذلك رجع بالناس.

وشريعة الله تعالى أسندت مهمة اختيار الحاكم وتنصيبه وعزله إلى أهل الحل والعقد.. ولذا فإن شعب كل دولة هو وحده الذى يبايع هذا الحاكم.. ويلتف حوله إذا أحسن.. وينصحه إذا أخطأ.. ويعزله إذا أفسد.

وبناء على ذلك.. لا يجوز شرعاً أن يأتى حاكم من دولة أخرى فيفرض بالقوة الغاشمة وبالعدوان الآثم ولايته وسلطانه على غير دولته.. ويعزل حاكمها الشرعى وينصب مكانه حكاماً آخرين.

أما عن موقف بعض الفقهاء الذين تقاعسوا عن تبيين حكم الشريعة أو وقفوا إلى جانب المعتدى.. فاننا ندعو كل مسؤول عن الفتوى فى الدول الإسلامية إلى أن يبين حكم الله تعالى.. أما كل من يفتى بما يشم منه رائحة الاعتذار عن الظالمين فضلاً عن الدفاع عنهم.. فهم من الضالين المضلين الذين يبيعون دينهم لدنياهم.

ولقد أفتى الذين ركنوا إلى الذين ظلموا بفتاوى ما أنزل الله به من سلطان.. وتستر الذين يتاجرون بالدين ويتمسحون بردائه والدين منهم برىء.

الفصل التاسع

باعوا أنفسهم للشيطان

صوره مقززه بشعه لم تحصل حتى من اسرائيل
حين استولت على القدس والضفة الغربية عام
١٩٦٧

وزير الأوقاف الأسبق
الشيخ عبد المنعم النمر

تمسح صدام حسين بالإسلام.. ولأسف الشديد وجد مؤيدين له من العرب المسلمين.. باعوا أنفسهم للشيطان وقفزوا فوق الجريمة الأصلية - الاعتداء - وركزوا على مجيىء القوات الأجنبية، ولم تأت هذه القوات إلا بعد أن رفض العراق «الحل العربى السلمى».. وكان هو السبب فى مجيئها. وكان هو السبب فى الدمار الكبير الذى حل بجيشه وشعبه.

وقد كانت القوات الأجنبية تحمى الدول العربية وبترولها أيام حرب صدام مع ايران حتى رفعت أعلامها على ناقلات البترول فى الخليج لحمايتها من اعتداء إيران عليها.. ولم نسمع صوتا من صدام ولا غيره، يحتج يومذاك كما يملأون الدنيا صراخاً وعويلاً على وجودها الآن.

وسبب هذا التناقض أن وجودها حينذاك وحمايتها لناقلات البترول لم يجد فيه مخالفة للإسلام لأنه كان شيئاً مفيداً له ويتمشى مع هواه، أما الآن فوجودها ضد أهوائه، فى أحلامه ونزواته فى ابتلاع دول الخليج والسعودية.

ومن الغريب العجيب أن تكلم صدام بالإسلام ولجأ إليه وهو الذى استباح كل حرمات الإسلام فى اعتداءاته على الكويت بل وعلى شعبه فهل يمكن أن يقبل منه أو من الذين يسيرون فى فلكه من الإسلاميين وغيرهم أن يتحدثوا عن الإسلام.. ويلجأوا إليه وهم الذين إستباحوا حرماته.

جاء رجل من أهل العراق إلى شيخهم الكبير الذى يلقى دروسه فى المسجد وسأله فى إهتمام عن دم البراغيث فى الثوب.. فهل تصح الصلاة به أو لا تصح ؟ فنظر الشيخ إليه باشمئزاز.. وقال له.. تستبيحون دم الحسين.. ثم تسألون عن دم البراغيث.

وتمر مئات السنين حتى يأتى صدام حسين ويعيد هذه الصورة القبيحة.. فيستبيح استقلال الكويت وحريتها وأموالها وأعراضها ودماءها ثم يسأل - هو والذين معه - عن دم البراغيث.. وجود القوات الأجنبية حلال أم حرام.

كانت الديون ومشكلة الحدود بين العراق وبين الكويت من الأمور التى تحل عادة بالمفاوضات.. وكان يمكن أن تتنازل دول البترول عن الديون كلها أو بعضها.

كل هذا كان ممكنا بالمفاوضات مالم يركب الغرور والصلف صدام حسين، فسلط قوته على شقيقته وجارته المسالمة «الكويت» واستباح لجيشه كل من فيها وما فيها فهدم البيوت والمنشآت وحطم المرافق ونهب الأموال وقتل النفوس وهتك الأعراض وشرد العائلات مما أعاد لأذهاننا ما فعله زعماء التتار وجيوشهم ببغداد ودمشق، ثم انكسر وانهزم وخرج من الكويت مهزوماً مدحوراً ليواصل شهوته العدوانية على شعبه فى العراق.

صورة مقززه بشعة لم تحصل حتى من اسرائيل حين استولت على القدس والضفة الغربية سنة ١٩٦٧ لقد حدثنى أيامها أخونا يوسف المعلم والذى كانت له مدارس فى القدس.. فانتقل بها إلى عمان بعد النكسه.. قال لى.. ان اسرائيل خصصت مجندات لتفتيش البيوت وحُجر السيدات ودواليبهم.. فكانت المجندة تفتش بكل أدب وتركز تفتيشها على «دولاب الملابس».. فلما لم تجد به إلا أفخر الثياب والحلى.. قالت كنا نظن أنكم تملأون «دواليبكم» بالأسلحة، كما تقتضى ظروف شعب مثلكم !! ويخرجون..

لكن صدام الفارس المغوار العربى المسلم الذى يدعى الانتساب لسيد الخلق، واسماهم خلقاً – ومعه جنوده المغاوير، ومرضى النفوس من بعض الفلسطينين الذين كانوا أكثر من نعموا بخيرات الكويت وعطفها، فعلوا ما فعلوا بالكويتيين وسكان الكويت، ما يندى له الجبين.. وتتقزز منه النفوس، ويرفضه أصحاب كل دين حتى عباد الاوثان..ومع ذلك يتبجح، ويتبجحون فيرددون كلمات العروبة والإسلام والمسلمين !! وينضم إلى ركابهم سذج المسلمين غفلة وجهلاً.. كما يقود ركابهم بعض ذوى الأهواء من رؤساء دول ورجال آخرون عناداً وطمعاً – طمع ابليس فى الجنة إن شاء الله

- **«وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون»** سورة الشعراء - الآية ٢٢٧ .. **«ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار وما لكم من دون الله من أولياء ثم لا تنصرون»** سورة هود - الآية ١١٣.

ألم أقل لكم أنهم استباحوا دم الحسين ويسألون عن دم البراغيث ؟

وها هو اليوم بعد أن انهزم شر هزيمة يدير اسلحته إلى شعبه فى شمال العراق بهدف ابادته وتدميره.. بعد أن قتل طموحات الأمة العربية فى التقدم والرقى وبدد ثرواتها الهائلة فى ذخيرة واسلحة خائبة.. لم تحقق له إلا الدمار.

الفصل العاشر

الذين يقاتلون دفاعاً لا ينطبق عليهم (القاتل والمقتول فى النار)

على الجيش العراقى أن يرفع هذا الكابوس (لا طاعه لمخلوق فى معصية الخالق)... وأمر طبيعى أن يدافع كل مسلم يغار على عقيدته عن أرض الحرمين الشريفين

الدكتور احمد عمر هاشم

إذا حدث القتال بين اثنين من المسلمين أو طائفتين بغير سبب أو داع أو بسبب باطل تكون المواجهة بينهما ضد الشريعة الإسلامية وإذا اقتتلا فالقاتل والمقتول فى النار لكن الوضع فيما نحن فيه الآن مخالف تماماً لأن الطائفة الثانية لا تنزع إلى الشر ولم تقاتل فدولة الكويت ما قاتلت ولا السعودية ولا دول الخليج.. كلها لم تقاتل وتنادى بالسلام والقتال حدث من طائفة واحدة.. فإذا قامت الطائفة الثانية لقتال الطائفة التى بدأت بالقتال وردع عدوانها والدفاع عن نفسها لا ينطبق عليها معنى الحديث النبوى الشريف «القاتل والمقتول فى النار» لأن هناك أحاديث نبوية شريفة عديدة توضح موقف من يدافع عن نفسه أو عرضه أو ماله.

يقول الرسول صلى الله عليه وسلم (من يقاتل دون ماله فهو شهيد).. ويبين فى حديث آخر صلى الله عليه وسلم أن واجب الإنسان أن يدافع عن نفسه وعن عرضه وعن ماله.. وأنه حين يقتل الصائل الذى يصول عليه ويبغى عليه ولا يعتدى عليه.. لا يكون الذى يرد ظالما فى النار.. هذا الحديث الصحيح الذى رواه الامام مسلم فى صحيحه حين جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم.. وقال له يا رسول الله أرأيت أن جاءنى رجل يريد أخد مالى.. قال لا تعطه مالك.. أرأيت إن قاتلنى.. قال فأقتله.. قال : أرأيت إن قتلنى.. قال فأنت شهيد.. قال : أرأيت إن قتلته.. قال هو فى النار.

إذا وضعنا هذا الحديث مع حديث إذا التقى المسلمان بسيفهما فالقاتل والمقتول فى النار يتضح المعنى لكن بعض الناس يقتصرون على نص واحد دون أن يجمعوا بقية النصوص ودون أن يصلوا إلى الحكم الشرعى المراد.. فا الحكم الشرعى بالنسبة لحديث إذا التقى المسلمان بسيفهما بأن كان كل منهما باغيا ظالماً معتدياً أو مستحلاً.. ولكن إذا كانت طائفة باغية وأخرى تريد أن ترد العدوان عن نفسها.. لو قتلت الطائفة التى ترد العدوان عن نفسها أو قتل أحد منها فهو شهيد بنص الحديث الصحيح «أرأيت إن

قتلني.. قال فأنت شهيد.. قال أرأيت إن قتلته... قال هو فى النار» لماذا كان فى النار لأنه استحل حرمة النفس الإنسانية والوضع الراهن الآن.. دولة آمنة فى مضجعها وفى استقرارها وفى وطنها.. انقضت عليها دولة أخرى بجيشها على حين بغتة فأكلت الأخضر واليابس، واحتلت الأرض، وروعت الآمنين، ونهبت الأموال واستباحت الحرمات وإذا كانت الآية القرآنية تقول **«وإن طائفتان من المسلمين اقتتلوا فاصلحوا بينهما فإن بغت احداهما على الأخرى فقاتلوا التى تبغى حتى تفىء إلى أمر الله ...»** سورة الحجرات – الآية ٩– إذا كان هذا فى الطائفتين المقاتلتين فما بالنا من طائفة واحدة لم تقاتل ولا تريد حتى أن تقاتل وتنادى بالسلام.. وكان هناك عدة مؤتمرات تنادى بالسلام ورأب الصدع لكن النظام العراقى لم يرعوى وقد قدم الرئيس المصرى مبادره ونداء باسم السلام والإسلام والمقدسات الإسلامية.. ولم يستجب النظام العراقى.. مجلس أمن وجامعة عربية ومؤتمرات إسلامية عالمية تقول هذا خطأ.. هذا باطل.. هذا لا يصح.. والنظام العراقى مستمر على بغيه.. والقرآن يقول فإن بغت إحداهما على الآخرى فقاتلوا التى تبغى حتى تفىء إلى أمر الله.

إذن فالذين يقاتلون أو يعدون أنفسهم للدفاع لا ينطبق عليهم (القاتل والمقتول فى النار) ولكن ينطبق عليهم (إن قتلت فأنت شهيد) بنص حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم.. أما الذين يصرون على البغى.. فينطبق عليهم قوله صلى الله عليه وسلم لا ترجعوا بعدى كفارا بضرب بعضكم رقاب بعض.. فقد ضرب العراق رقاب الكويت وأراد بتحرش قواته على حدود أرض الحرمين الشريفين السعودية أن يفجر المنطقة وأن يشعلها ناراً.

والرسول صلى الله عليه وسلم حين يبين لنا ذلك فهو أيضا ينبه أولئك الذين يشايعون الظالمين أولئك الذين يسيرون فى ركاب هذا العدوان الغاشم ويريدون أن يبرروه أو يناصروه.. إما تحسبا له.. وإما خوفا منه.. وإما سيرا فى ركابه.. الرسول يحذر هؤلاء

الذين يأتون هذا الصنيع.. ويقول صلى الله عليه وسلم «من أعان ظالماً على قتل مؤمن ولو بشطر كلمة جاء يوم القيامة وبين عينيه آيسر من رحمة الله».

هذا تحذير وتهديد ووعيد لكن الذين يشايعون النظام العراقى الغاشم وهذا انذار حق يدعو المتربصين بالحق أن يثوبوا إلى رشدهم.. أن يتوبوا إلى ربهم.. أن يؤوبوا إلى صوابهم.

أما من يقاتل من جنود الجيش العراقى وهو مجبر ومقهور ومغلوب على أمره.. كما قرأنا وسمعنا أن من يخالف الأوامر يقتل ويضرب بالنار.. ولكن ليس معنى هذا أن يسكتوا على الظلم..وليس معنى هذا أن يقروا الظلم والعدوان وارتكاب الجرائم.. وقتال المسلمين ٨ سنوات.. وكأن الجيش العراقى تخصص فى قتال المسلمين وحدهم ثمانى سنوات يقتل المسلمين فى إيران.. ثم ها هو يقاتل المسلمين فى الكويت ويتحرش بالخليج.. كأنه تخصص فى قتال المسلمين.. ولم يقاتل عدوا متربصا.. ولم يدافع عن أقليات إسلامية.. ولم يدافع عن قضايا العروبة والإسلام.

لذلك نقول كلمة الحق.. إن على الجيش العراقى أن يرفع هذا الكابوس.. (لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق).

وعن القوات التى حشدت فى المملكة العربية السعودية. فهذا أمر طبيعى.. أمر طبيعى أن يدافع الإنسان عن ماله.. وعن أرضه.. وعن عرضه.. وعن وطنه.. وكل مسلم يغار على عقيدته لابد أن يدافع عن أرض الحرمين الشريفين.. وكل مسلم يغار على عقيدته لابد أن يدافع عن أرض الإسلام والعروبة.. كلنا نعلم جبريل عندما حفرت عين زمزم قال جبريل يومها لا تخافوا الضيع فإن هنا بيتا سيبنيه هذا الغلام وأبوه وان الله لنا يضيع أهله وقوله صلى الله عليه وسلم من أخاف أهل المدينة ظالما لهم أخافه الله وعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين.

من أجل ذلك نقول : الحق بجانب أهل الكويت ومصر ودول الخليج.. والباطل كل الباطل والظلم فى صف النظام العراقى.

المحتويات

صدر عن



الدار المصرية للنشر والتوزيع

١ـ من فيض الرحمن فى معجزة القرآن .... الشيخ الشعراوى

٢ـ من قتل السادات .... (طبعة رابعة) .... أ. حسنى أبو اليزيد

٣ـ أسرار محاكمة قتلة السادات .... (طبعة ثانية) ....
أ. حسنى أبو اليزيد

٤ـ كنت جاسوساً فى إسرائيل.. (رأفت الهجان) ... خارج مصر ....
أ. صالح مرسى

٥ـ يا سليمان السلام .... (طبعة ثالثة) ....أ. حسنى أبو اليزيد

٦ـ مارادونا .... (طبعة ثانية) ....أ. نادر شريف

٧ـ الحفار .... (خارج مصر) ....أ. صالح مرسى

٨ـ إعترافات جيهان السادات .... (طبعة ثالثة) ....
أ. حسنى أبو اليزيد

٩ـ رفيق السفر للأجانب والعرب .... (طبعة رابعة) ....
د. محمود بهنسى

١٠ـ مذكرات الشيخ كشك .... (خارج مصر) ....
الشيخ عبد الحميد كشك
١١ـ كيف تتغلب على التوتر .... (كتاب + كاسيت) ....
د. خليل فاضل
١٢ـ كنت هناك ...... احداث عدن ..... (طبعة ثالثة) ....
أ. ديفيد جارودى
١٣ـ فتاوى الشيخ كشك ... (ثمانية أجزاء) .... (خارج مصر) ....
الشيخ عبد الحميد كشك
١٤ـ هذا هو الإسلام .... (خارج مصر) .... الشيخ الشعراوى
١٥ـ كيف تتوقف عن التدخين ...... (كتاب + كاسيت) ....
د. خليل فاضل
١٦ـ الطب والجنس .... د. مدحت عزيز شوقى
١٧ـ الحب طفلنا الضال .... أ. عائشة أبو النور
١٨ـ كيف تقوى ذاكرتك وتنجح فى الاختبار ..... (كتاب + كاسيت) ....
د. خليل فاضل
١٩ـ الوجه الآخر لرأفت الهجان .... (طبعة أولى) ....
أ. حسنى أبو اليزيد
٢٠ـ الطب النبوى .... الشيخ ابراهيم الجوزية)

٢١ ـ مذكرات نانسى ريجان ....نانسى ريجان

د. محمد بهنسى

٢٢ـ المجتمع المثالى ...... كما تنظمه سورة النساء .... د. محمد مدنى

٢٣ـ سيكولوجية الجنس .... د. مدحت عزيز شوقى

٢٤ـ اغتيال الكويت ..... (طبعة ثانية) ....أ. أيمن نور

٢٥ـ صدام فى المصيدة ....أ. وحيد غازى

٢٦ـ الحرب الكيماوية الوقاية والعلاج .... د. فاروق محمد الباز

٢٧ـ كاريكاتير المشاهير فى أزمة الخيلج .... أ. عبد الله أحمد عبد الله

٢٨ـ اسرار عاصفة الصحراء .... أ. مجدى شندى

٢٩ـ اسرار اسلحة الدمار فى حرب الخليج .... أ. مصطفى أمين أحمد

أ. عادل القاضى

٣٠ـ آراء الشيخ الشعراوى فى حرب الخليج ....

الشيخ محمد متولى الشعراوى

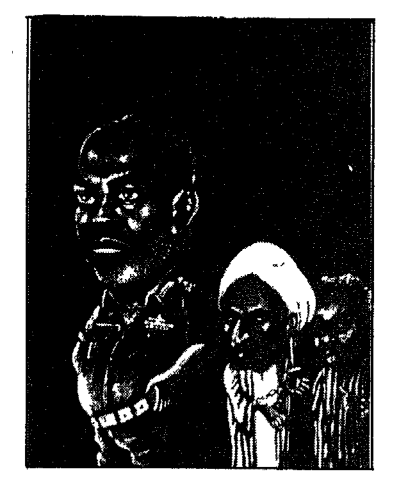
قريبا فى المكتبات العربية والعالمية

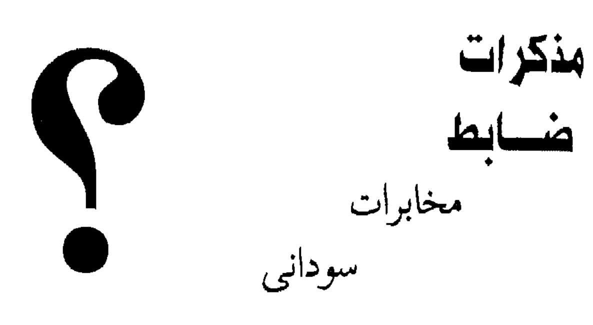


الملف السرى
لرأفت الهجان
الكاتب الصحفى حسنى أبو اليزيد

يفتح الملف السرى لرفعت
الجمال الشهير
بـ «رأفت الهجان»
من داخل إسرائيل ومصر وألمانيا

* * * *





مذكرات
ضابط
مخابرات
سودانى

* * * *



رفيق السفر إلى أمريكا
دليل المسافر إلى الولايات المتحدة الأمريكية

أول كتاب يصاحبك دون مرشد

رفيق السفر إلى لندن

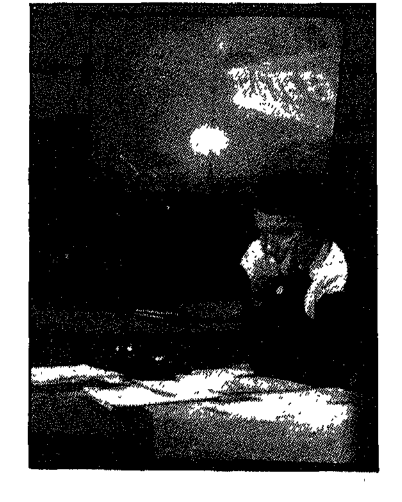


صحفي وراء الشمس

رائعة الكاتب الصحفى
رائد عطار

حكايات ما وراء خفايا
التجسس فى مصر

* * * * * * * * * *



كتاب

الف ساعة مع صدام
تحت الأرض

مراسل صحفى أمريكى شهير
عايش عن قرب صدام حسين
أيام القتال ساعة بساعة
أول كتاب يترجم بالعربية
وينشر قبل طبعته الانجليزية والفرنسية والألمانية
بالتعاون مع دار وينجربوك الأمريكية

أشهر الحوارات الديمقراطية
في تاريخ البشرية

* * * * * * * *

الطرق العلمية
في استخدام الحبة السوداء

* * * * * * * *

الرضاعة الطبيعية والصناعية

* * * * * * * *

الغذاء والجنس

الناشر



الوكيل فى مصر

الدار المصرية للنشر والاعلام

القاهرة ـ ص ب ـ ١٢٩ هيليوبوليس

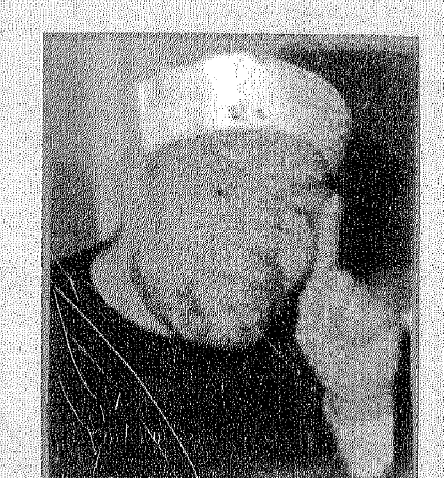
ت ٢٦١٥٧٤٤ ـ فاكس ٢٦١٥٧٤٤ (٢٠٢)

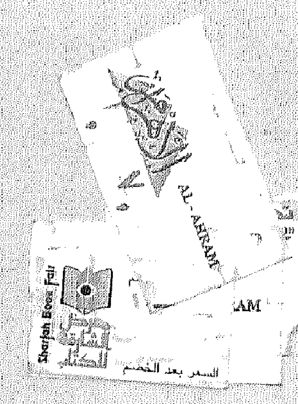
جمع تصويرى : مكتب ستاليون للتدريب والخدمات
١ شارع اشمون - مصر الجديدة
ت : ٢٩٠٧١٠٢ - فاكس ٦٦٧٨٦٣ (٢٠٢)

الإشراف والمتابعة
مهندس/ حازم الاشهب

رقم الايداع
١٩٩١ / ٣٨٣٣

مطابع الاهرام التجارية القاهرة - مصر





غياب الإسلام هو الذى اشعل تلك الثورات ويجب أن نعرف أولاً أن المعركة بين حق وحق لا توجد، فالمعركة دائما بين حق وباطل، وهذه لا تطول، ولكن الذى يطول هو المعركة بين باطل وباطل، لأن أحداً منهما ليس جديرا بأن ينصره الله.

الشيخ محمد متولى الشعراوى



مطابع الأهرام التجارية - قليوب - مصر